مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٨ ، ص ص ٦٥-١٢٢ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)

مرويات السيرة النبوية لابن هشام عن موقف النصارى من نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته

صلاح التجاني حمودي
قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك عبد العزيز
جـــــدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص . يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مرحلتين هامتين في تاريخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الأولى منهما هي الفترة التي سبقت الدعوة ، والثانية التي بدأت بعد دعوته صلى الله عليه وسلم ، وذلك بغرض توضيح التباين الكبير في موقف النصارى من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته . فإذا أخذنا المرحلة الأولى في الاعتبار نجد أن كتَاب السيرة النبوية لابن هشام (وغيره من كتب السيرة) تفيض بأخبار الرهبان الذين تنبأوا بظهور نبي بَشَّر به عيسى عليه السلام ، وأنه قد آن أوان ظهوره ، بل أن بعض هؤلاء الرهبان ، ممن هُيئت له الفرصة لملاقاة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) في طفولته أو صباه أو شبابه ، رأى فيه علامات النبوة وفق ما جاء بها وصفه في كتبهم .

وخلاصة القول إن رهبان النصارى كانوا واثقين من صحة هذه الأخبار ولن يتوانوا في التصديق بهذا النبي واتباعه .

ثم بدأت المرحلة الثانية ، عندما اختار الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لهذه الرسالة فعرض الدعوة على أهل الكتاب من يهود ونصارى فلم تجد قبولاً إلا عند أفراد قلائل منهم ، واتضح من موقفهم هذا أن الذي منعهم من التصديق بها مجرد حسدهم لهذا النبي العربي ؛ وكانوا يتوقعون أن تكون الرسالة فيهم . وقد فضح القرآن الكريم موقف النصارى هذا في كثير من سوره وآياته ، على

الرغم من أن ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم وما رواه المؤرخون يعكس لنا موقف النصارى وهو أكثر اعتدالاً من موقف اليهود ، وبخاصة حكام النصارى الذين خاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، رغم ما يحيط ببعض مواقفهم تجاه هذه الرسائل من ظلال الشك .

مقدمة

قال الله تعالى :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[١]

لا شك أن ما كتب عن موقف اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الدعوة الإسلامية يفوق كثيرًا ما أُلف عن النصارى[٢] وموقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته . ولعل من أهم الأسباب لهذا الاهتمام الزائد من الباحثين هو أن ما جاء في القرآن الكريم من قصص عن نبي الله موسى وقومه من بني إسرائيل لايدانيه ما نزل عن أي من الأنبياء والرسل الآخرين وأقوامهم . وهذا شيء ثابت وبيِّن لكل من يقرأ القرآن الكريم .

سبب آخر لهذا الاهتمام يمكن أن نتبينه من خلال الوجود اليهودي بجزيرة العرب عند قيام الدعوة الإسلامية . ففي المدينة المنورة والمناطق المجاورة لها مثل خيبر وفدك وتيماء ووادي القرى كانت تقيم أكبر جالية يهودية عُرفت في ذلك الوقت ، في أقرب منطقة من مكة المكرمة . ولم يكن وجود هؤلاء اليهود هنا في هذه البلاد بمحض الصدفة ، وإنما هناك من الأخبار التي ذكرها بعض المؤرخين والباحثين ما يشير إلى أن وجودهم هنا كان نتيجة لما نُبِّئوا به بظهور نبي يأتي من بعد عيسى ، وأُمروا أن يتبعوه وينصروه[٣] .

أما النصارى فقد كان يوجد منهم في مكة أفراد قلائل ، ولم يكن يوجد منهم في المدينة أو المناطق المجاورة لها أيضا أعداد كبيرة .

لقد تركز وجود نصارى من العرب في أطراف شبه الجزيرة العربية وبخاصة في أطراف الشام في الشمال ، وكذلك في الركن الجنوبي الغربي في بلاد اليمن ، وفي الأجزاء الشرقية المتاخمة للعراق ودولة الفرس .

لقد ارتبط تاريخ القبائل العربية المتنصِّرة في الشمال ، ومنهم اللخميون والغساسنة ،

بالإمبراطورية البيزنطية التي كانت تسيطر على بلاد الشام[٤] ، وكانت هذه الإمبراطورية - مع دولة الفرس - إحدى أكبر دولتين عرفهما العالم آنذاك .

من جهة أخرى فإن بعض نصارى العرب في الجهة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، مثل المناذرة وغيرهم ، كانت تبعيتهم وولاؤهم لدولة الفرس[٥] .

أما النصارى الموجودون في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، فقد كانوا يتركزون في نجران ، وكان ارتباطهم ، رغم بعد المسافة ، إلى حد كبير بدولة الروم البيزنطيين[٦] وبدولة الحبشة النصرانية بحكم موقعها القريب من بلادهم .

وسنحاول في هذا البحث أن نتبين موقف النصارى في هذه المناطق المذكورة من الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الإسلامية ، وذلك من خلال ما روى عن هذا الموضوع في كتاب السيرة النبوية لمحمد بن هشام ، بحكم أن هذه السيرة النبوية التي تنسب إلى محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) تعتبر أقدم ما وصل إلينا عن تاريخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . وسيكون الأسلوب الذي نتبعه في البحث هو إيراد النص ، ومن ثم دراسته وتحليله .

أما النصوص التي تجمعت لدينا حول هذا الموضوع فقد جعلناها خمسة أقسام :

القسم الأول : يشمل حكايات الرهبان والإشارات الدالة على قرب ظهور رسالة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

القسم الثاني : يتناول أخبار هجرة المسلمين إلى الحبشة وما ارتبط بها من أحداث .

القسم الثالث : خصصناه للحديث عن النص الذي يتناول زيارة وفد نصارى نجران للمدينة وما جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبينهم .

القسم الرابع : يضم الروايات التي تتحدث عما جرى من نزاع بين يهود المدينة ونصارى نجران عند قدوم الأخيرين للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم .

القسم الخامس : أفردناه للرسائل التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النصارى الروم والعرب ، ثم أخبار الغزوات والسرايا التي شنها الرسول صلى الله عليه وسلم ضد الروم والقبائل العربية المتنصِّرة والموالية للروم ، وضد بعض نصارى العرب الآخرين ، والاتفاقيات التي عقدها مع بعضهم .

وفيما يلي كل قسم من هذه النصوص وتحليلها .

القســـم الأول

حكايات الرهبان والإشارات الدالة على قرب رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (السيرة النبويـة : الجزء الأول صفحة ٢٠٤ - ٢٠٧)

قصـــة بحيــــرى

محمد صلى الله عليه وسلم يخرج مع عمه إلى الشام : « قال ابن إسحاق : ثم إنَّ أبا طالب خرج في ركب تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسير صَبَّ به رسول الله - صلى الله عليه وسلمَ - فيما يزعمون - فرقَّ له ، وقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه » .

بحيرى يحتفي بتجار قريش : « فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بحيرى في صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطّ راهب ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون - يتوارثونه كابرًا عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعامًا كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وغمامة تظله من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعامًا يامعشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم ، فقال له رجل منهم : والله يابحيرى إن لك لشأنًا اليوم! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً ، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعامًا ، فتأكلوا منه كلكم . فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم ، لحداثة سنه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال : يامعشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي ، قالوا له : يابحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنًا ، فتخلف في رحالهم ، فقال : لا تفعلوا ، ادعوه ، فليحضر هذا الطعام معكم . قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى ، إنْ كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه ، وأجلسه مع القوم » .

بحيرى يتثبت من محمد صلى الله عليه وسلم : « فلما رآه بحيرى ، جعل يلحظه لحظًا شديدًا ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى ، فقال : ياغلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرى ذلك ، لأنه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسألني باللات والعزى شيئًا . فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما ، فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال له : سلني عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيري من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده » .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم .

بحيرى يوصي أبا طالب بمحمد صلى الله عليه وسلم ، « قال ابن إسحاق : فلما فرغ ، أقبل على عمه أبي طالب ، فقال له : ماهذا الغلام منك؟ قال : ابني . قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده » .

بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد صلى الله عليه وسلم الشر : « فخرج به عمه أبو طالب سريعًا ، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام ، فزعموا فيما روى الناس : أن زريرًا وتمامًا ودريسًا - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرى ، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إنْ أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول ، صفحة ٢١٣)

حديثه - صلى الله عليه وسلم - مع الراهب : « فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان . فاطلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول صفحة ٢١٦)

ورقة يتنبأ له - صلى الله عليه وسلم - بالنبوة : « قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانيًا قد تتبع الكتب ، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقًا ياخديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول صفحة ٢٥٢ - ٢٥٣)

تنصر ورقة وابن جحش : « فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علمًا من أهل الكتاب . وأما عبيد الله بن جحش ، فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيًا » .

ابن جحش يغري مهاجري الحبشة على التنصُّر : « قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : كان عبيد الله بن جحش - حين تنصَّر - يمر بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو هنالك من أرض الحبشة فيقول : فقحنا وصأصأتم ، أي : أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد ، وذلك أن ولد الكلب ، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ ، لينظر . وقوله : فقح : فتح عينيه » .

تنصُّر ابن الحويرث وقدومه على قيصر : « قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصَّر ، وحسنت منزلته عنده » .

زيد يتوقف عن جميع الأديان : « قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول صفحة ٢٣٠ - ٢٣١)

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه : « قال ابن إسحاق : وكانت الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه ، لما تقارب من زمانه .

أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة

زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه » .

(السيرة النبوية : الجزء الثاني ، صفحة ٤٣)

« وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له : جبر - عبد لبني الحضرمي - فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام بني الحضرمي . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾(٧) .

(السيرة النبوية : الجزء الأول ، صفحة ٢٦٢)

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنجيل

يحنس الحواري يثبت بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإنجيل : قال ابن إسحاق : « وقد كان - فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما أثبت يحنس الحواري لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم أنه قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزونني ، وأيضًا للرب ، ولكن لابد من أن تتم الكلمة التي في الناموس : أنهم أبغضوني مجانا ، أي : باطلاً . فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد عليَّ وأنتم أيضًا ، لأنكم قديمًا كنتم معي في هذا ، قلت لكم : لكيما لا تشكوا .

والمنحمنا بالسريانية : محمد : وهو بالرومية : البرقليطس ، صلى الله عليه وآله وسلم » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول ، صفحة ٢٤١ - ٢٤٧)

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

توضيح : قبل أن نذكر النصوص التي تتحدث عن سماع الصحابي سلمان رضي الله عنه بقرب ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم وما أخبر به عن مكان هجرته ، لابد أن نشير إلى أن ابن هشام قد أورد عدة نصوص تبدأ بنبذ سلمان لديانته المجوسية واعتناقه النصرانية ، ومن ثم مغادرته لبلاده فارس وتنقله بين أساقفة النصارى في بلاد الشام وبلاد الجزيرة وبلاد الروم إلى

أن استقر به المقام في عمورية[٨] عند أحد رجال الدين من النصارى ، وهو الذي نصحه بالتوجه إلى بلاد العرب لأنه قد أطل زمان نبي يبعث فيها بدين إبراهيم عليه السلام . ولهذا فإنَّنا سنبدأ بذكر هذا النص ولسنا في حاجة إلى إيراد النصوص التي سبقته .

سلمان يلحق بصاحب عمورية : « فلما مات وغيب (أي أسقف نصيبين[٩] الذي كان معه قبل ذلك) لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل ، على هدي أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر ، قلت له : يافلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال : أي بني ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ماكنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أطل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجره إلى أرض بين حرَّتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل » .

سلمان يذهب إلى وادي القرى : قال : « ثم مات (وغيب) ، ومكثت بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، قالوا : نعم فاعطيتموها ، وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودي عبدًا ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحق في نفسي » .

سلمان يذهب إلى المدينة : « فبينما أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ماهو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها ، وبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة » .

سلمان يسمع بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة : « فوالله إنِّي لفي رأس عذق[١٠] لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يافلان ، قاتل الله بني قيلة[١١] ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي » .

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبدالله بن عباس ، قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العرواء . قال ابن هشام : العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرخصاء ، وكلاهما ممدود – حتى

ظننت أني سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول؟ فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا؟ أقبل على عملك ، قال : قلت : لاشيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال » .

سلمان يستوثق من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم : قال : « وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة . قال : ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ببقيع الغرقد(١٢) ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، عليّ شلمتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ، فلما رآني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استدبرته ، عرف أني استثبت في شيء وصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره . فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله ، وأبكي ، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : تحول : فتحولت فجلست بين يديه ، ، فقصصت عليه حديثي ، كما حدثتك ياابن عباس ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بَدْر وأُحُدْ » .

تحليـــل نصـــوص القســـم الأول

قبل أن نبدأ بتحليل النصوص آنفة الذكر ، لابد أن نشير هنا إلى أن هذه الروايات عما تحدث به الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقرب ظهوره ، نجد لها إشارات عدة فيما ورد في القرآن الكريم عن هذا الموضوع(١٣) وقد لخص ابن كثير هذه الدلائل القرآنية في كتاب « السيرة النبوية »(١٤) .

أضف إلى ذلك أن هناك بعض الروايات عن رهبان تنبأوا بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يرد لها ذكر في السيرة النبوية لابن هشام ، من ذلك رواية عن « راهب يدعى عيصا من أهل الشام كان بمر الظهران(١٥) في صومعة له ، وكان يدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس

ويقول : إنه يوشك أن يولد فيكم مولود ياأهل مكة يدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه . هذه الرواية أوردها ابن كثير[١٦] ونسبها إلى أبي نعيم ولكنه ذكر أن فيها غرابة .

فإذا عدنا الآن إلى النصوص السابقة يتضح لنا أن قصة الراهب بحيرا وغيره من أهل الكتاب ، الذين لاحظوا علامات النبوة في الرسول صلى الله عليه وسلم ، ترتبط بمرحلة مبكرة من حياته عندما كان غلامًا حدثًا - ولعل هذا من الأسباب التي جعلت بعض هذه الروايات تميل إلى الغرابة لما ورد فيها من أخبار - فقصة الراهب بحيرا التي أوردها ابن هشام ذكرها عدد آخر من علماء السير . فقد ذكرها أبو نعيم[١٧] في دلائل النبوة . ولكنه في الوقت نفسه أورد الرواية الأخرى التي تقول إن أبا طالب عندما حذره بحيرا من اليهود على ابن أخيه أرجعه إلى مكة مع بلال[١٨] .

أما البيهقي[١٩] ، فإلى جانب ذكره للرواية التي أوردها ابن إسحاق عن بحيرا أورد رواية أخرى جاء فيها أن أبا بكر بعث بلالاً مع الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أراد أبو طالب إرجاعه إلى مكة خوفًا عليه من الروم ، وعلق البيهقي على ذلك بقوله : إن هذا حديث غريب .

أما ابن سيد الناس[٢٠] فقد ذكر أيضا رواية ابن إسحاق عن الراهب بحيرا ، وأضاف إلى ذلك قصة الروم السبعة الذين جاءوا يبحثون عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليتعرضوا له بالسوء ونهي بحيرا لهم عن ذلك ، وما جرى بعد ذلك من إرسال أبي بكر بلالاً مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فيقول ابن سيد الناس : « إنَّ في متن هذا الحديث نكارة وهي إرسال أبي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا ، وكيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أسن من أبي بكر بأزيد من عامين . وأيضا فإن بلالاً لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عامًا ، فإنه كان لبني خلف الجمحيين » .

أما ابن كثير[٢١] فقد ذكر أيضا هذه الرواية الغريبة عن إرسال أبي بكر بلالاً مع الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أرجعه عمه أبو طالب إلى مكة ، ونسب هذه الرواية لابن إسحاق وأنها مأخوذة عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري ، ولكنه بالطبع أنكرها لغرابتها ولما ورد فيها من أشياء لا يقبلها العقل مثل قصة أبي بكر وبلال .

أما الصالحي[٢٢] فقد ذكر في إحدى رواياته أن بحيرا حذر أبا طالب من الروم وليس من اليهود ، وأنه بالفعل أقبل سبعة نفر من الروم يتعرضون للرسول صلى الله عليه وسلم ولكن بحيرا ردهم وناشد أبا طالب حتى رد ابن أخيه وأرسل معه رجلاً (هكذا دون تحديد شخصية هذا الرجل) .

ولم يغفل الصالحي ذكر الرواية التي تقول إن أبا طالب رد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن

أبا بكر بعث معه بلالاً . وقد أنكر هو الآخر هذه الرواية .

وذكر الصالحي أيضاً رواية ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس أن أبا بكر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة ، حتى إذا نزل منزلاً في سدرة فقعد في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له : من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال له : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له : هذا والله نبي هذه الأمة ، ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم إلا محمد »(٢٣) .

وكما ذكرنا من قبل فإن بُعد الشقة بين ما حدث في هذه المرحلة المبكرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين تاريخ بداية الدعوة الإسلامية جعل الكثير من الاضطراب يلقي بظلاله على الروايات التي وردت عن أخبار هؤلاء الرهبان والأحبار وبخاصة الراهب بحيرا . وقد لا يستطيع الإنسان أن ينفي وقوع هذا الحدث جملة وتفصيلا ، فلعل الرسول صلى الله عليه وسلم خرج بالفعل في تلك الرحلة وفي هذه السن المبكرة(٢٤) مع عمه أبي طالب ولعل بحيرا أو غيره قد لاحظوا فيه بعض علامات النبوة ، ولكن مما لاشك فيه أن الكثير من هذه الروايات قد أُدخلت عليها زيادات غريبة أنكرها معظم علماء السير .

ونختتم حديثنا عن قصة الراهب بحيرا برأي معقول ومقبول ، وهو ما علق به أبو شهبة على هذا الموضوع بقوله : « لم تذكر لنا الروايات أكثر مما سمعت ، ولم يسمع منه النبي شيئا من علوم أهل الكتاب ، ولا قرأ عليه بحيرا شيئا من كتبهم ، ولو حدث شيء من هذا لحدَّث به الركب ولا سيما بعد بعثته لما سب آلهتهم وسفه أحلامهم وعاب دينهم »(٢٥) .

فإذا انتقلنا الآن إلى النصوص التي تلي ذلك نجد أنها تشير إلى تكرر مشاهدة بعض الرهبان للرسول صلى الله عليه وسلم في مرحلة أخرى من مراحل حياته عندما تجاوز العشرين من عمره وخرج وقتها في تجارة السيدة خديجة بنت خويلد(٢٦) . وما ذكر هنا هو أن أحد الرهبان لاحظ بعض الظواهر التي أحاطت بالرسول صلى الله عليه وسلم مما يشير إلى أنه النبي المنتظر . وقد سأل هذا الراهب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره ميسرة ، وهو الغلام الذي أرسلته السيدة خديجة معه ليخدمه ، باسمه ونسبه ، فنقل ميسرة ما دار بينه وبين الراهب من حديث للسيدة خديجة .

كانت هذه الدلائل ، مع ما يتمتع به الرسول صلى الله عليه وسلم من أخلاق حسنة وصفات كريمة لم تتوافر في أحد سواه من أهالي مكة ، كافية لأن تجعل السيدة خديجة ترغب في الزواج منه . واستطاعت السيدة خديجة أن تستوثق أكثر من هذا المستقبل الباهر الذي ينتظر محمد بن

عبد الله عندما أخبرت ابن عمها ورقة بن نوفل بما حدث ، فتأكد له أنه النبي المنتظر لهذه الأمة .

أما ورقة بن نوفل فقد كان أحد القرشيين القلائل الذين لم يكونوا مقتنعين بعبادة الأوثان التي كانت تمارسها قريش في مكة ، وكان يشاركه هذا الرأي آخرون ، منهم عثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش وزيد بن عمرو بن نفيل . وقد اعتنق ورقة النصرانية ، وكان كثير الاطلاع في كتبها وأخبارها .

أما عثمان بن الحويرث فيبدو أنه كان يتطلع إلى السلطة السياسية ، ولذلك ربط اعتناقه للنصرانية بذلك ، فتوجه إلى ملك الروم فتنصر[٢٧] . ويقال إن قيصر توّجه وولاه أمر مكة ، ولكن أهلها لم يعترفوا به لأنهم أنفوا أن يدينوا لملك[٢٨] .

وقد ذكر ابن كثير « . . أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش ، فتنصروا إلا زيداً ، فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم[٢٩] .

ويقال إن زيداً عندما خرج إلى الشام سار حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهباً ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية ، فسأله عن دين إبراهيم ، فقال له الراهب : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه ، ولكنه قد أظل خروج نبيٍّ ، وهذا زمانه . فخرج سريعاً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا كان بأرض لخم عدوا عليه فقتلوه[٣٠] .

أما عبيد الله بن جحش فقد ظل أيضاً على التباسه حتى ظهرت الدعوة الإسلامية فأسلم وآمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر إليها من المسلمين . وهناك شاهد النصارى وكنائسهم فأعجبته ديانتهم فارتد عن الإسلام وتنصر ، ومات بالحبشة وهو على النصرانية[٣١] .

لعل ما دفع الكثيرين من العرب ، وبخاصة أهالي مكة ، للتردد في اعتناق اليهودية أو النصرانية ماكانوا يجدونه ويسمعون عنه من أحاديث الأحبار والرهبان عن قرب ظهور نبي يأتي من بعد عيسى عليه السلام ، وعن صفة هذا النبي في كتبهم السماوية ، خاصة الإنجيل .

يضاف إلى ذلك من أسباب نفور العرب من النصرانية ما ذكره الأستاذ أبو شهبة حيث يقول : « والسبب في عدم انتشار النصرانية في بلاد العرب التعقيدات التي فيها ولا سيما في باب الألوهية فإنها لا يقبلها العقل العربي ، والأمور التي يزعم القسيس أنها من الأسرار ، وطبيعة العربي تأبى هذا أيضاً[٣٢] .

ولم يقتصر تأثير الأحاديث التي نسبت إلى الرهبان والأحبار فقط على من كانوا يرفضون الوثنية ويتطلعون إلى الديانة التي بشر بها اليهود والنصارى ، وإنما امتد أثرها أيضاً إلى الوثنيين من القرشيين الذين اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يتلقى ما يقوله لهم من غلام نصراني بمكة يدعى جبر ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾(٣٣)

نأتي الآن للنص الذي يتحدث عن سلمان الفارسي حيث نجد فيه أوضح وأصدق التنبؤات التي جاءت من أساقفة نصارى عن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وقرب ظهورها في بلاد العرب ، ومكان هجرته . فالقصة التي رواها سلمان لا يتطرق إليها الشك . أولاً لأن وجوده هنا في المدينة ، بعد هذه الرحلة الطويلة التي قطعها منذ خروجه من بلاده ، كان نتيجة لمعلومات أكيدة تلقاها عن هؤلاء الأساقفة .

إن الرحلة التي قام بها سلمان الفارسي متنقلا بين مدن الجزيرة في شمالي العراق ومدن شمال بلاد الشام تؤكد لنا من جهة مدى الانتشار الواسع الذي كانت عليه الديانة النصرانية في هذه البلاد . ولكنها من جهة أخرى تظهر لنا مدى البعد الذي أصبح عليه النصارى من سكان هذه البلاد عن تعاليم دينهم ومعابدهم التي أصبحت ملاذاً لقلة من الرهبان والأحبار الذين تمسكوا بدينهم وأصبحوا يعيشون في بحر من الفراغ الروحي .

ولا شك أن ما أحس به سلمان الفارسي من فراغ روحي تجاه ديانته التي كانت تقوم على عبادة النار كان أعمق بكثير . ولعل هذا ما دفعه للبحث عما يشبع رغبته في الديانة النصرانية ، فإذا بأحد رهبانها يدله على الديانة الحقة التي آن زمان نبي يبعث بها .

أما الحقيقة الثانية التي ارتبطت بقصة سلمان الفارسي هي أنه بالفعل كان مملوكًا لأحد اليهود عند سماعه بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . وظل سلمان على الرق بعض الوقت إلى أن ساعده المسلمون لشراء حريته . لهذا فإن ما جاء في روايته مطابق لواقع الحال .

أضف إلى ذلك أن سلمان ، عندما تأكد له تطابق وصف النبي صلى الله عليه وسلم مع ما كان سمعه عنه من قبل من الأساقفة ووجود علامات النبوة فيه ، لم يتردد لحظة في اعتناق الإسلام .

من هذا المنطلق ، فإن جحود النصارى وإنكارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، رغم أنهم تنبأوا بها ، فعائد إلى حسدهم وجحودهم أكثر مما هو عائد إلى تكذيبهم له أو عدم

تصديقه ، وهذا في حد ذاته حجة عليهم .

نخلص من كل ذلك إلى أن هذه النصوص تثبت إيمان واقتناع أهل الكتاب ، وبخاصة من النصارى ، من حيث المبدأ بأن هناك رسولاً سيأتي من بعد عيسى ، ولكن يبدو أن كلا من اليهود والنصارى كان يمنّي نفسه بأن تكون هذه الرسالة فيهم ، فاليهود كانوا ينتظرون ظهور هذا النبي في بني إسرائيل ، والنصارى كانوا يتوقعون ظهور هذه الرسالة في الشام حيث توجد أهم كنائسهم ومقدساتهم . وقد كانت مفاجأة لهم أن يكون هذا النبي من العرب . وكان رد الفعل سريعًا حيث رفض معظمهم التصديق به ، مع العلم بأنه لا يوجد فيما جاءهم من علم عن هذا النبي أنه سيكون من بني إسرائيل أو النصارى ، فموقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الإسلامية بُني إذًا على أساس خيبة أملهم ولم يُبْن على اقتناعهم بعدم صحة هذه الرسالة .

القسم الثاني

أخبار هجرة المسلمين إلى الحبشة وما ارتبط بها من أحداث

(السيرة النبوية : الجزء الأول صفحة ٣٤٩)

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

« قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفرارًا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول ، صفحة ٣٦٠ – ٣٦١)

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي : « قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار – النجاشي – أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشًا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين . وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ،

وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[٣٤] ، فجمعوا له أدمًا كثيرًا ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما ، ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم . ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم . وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإنَّ قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ؛ فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسالهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول ، صفحة ٣٦١ - ٣٦٢)

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي : « قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنًا في ذلك ماهو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم : ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه

وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قال : فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ ، قالت : فقرأ عليه صدراً من «كهيعص»[٣٥] قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون » .

(السيرة النبوية : الجزء الأول ، صفحة ٣٦٣)

رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشي : قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبدالله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل فإن لهم أرحامًا ، وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد . قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كائنًا في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت : فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ماعدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود . قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم : الآمنون - من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم . ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم - قال ابن هشام : ويقال دبري من

ذهب ، ويقال : فأنتم شيوم ، والدبر ، بلسان الحبشة : الجبل - ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار » .

(السيرة النبوية ، الجزء الأول ، صفحة ٣٦٦)

إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

« قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سفنًا ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفوا له ، فقال : يا معشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم؟ قالوا : بلى ، قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فما لكم؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ، قال : فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا : نقول هو ابن الله ، فقال النجاشي ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى ابن مريم ، لم يزد على هذا شيئا ، وإنما يعني ما كتب ، فرضوا وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشي صلى عليه ، واستغفر له » .

(السيرة النبوية : الجزء الثاني ، صفحة ٤٢)

قدوم وفد النصارى من الحبشة

« قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة ، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب! بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم

عنده ، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركبًا أحمق منكم . أو كما قالوا . فقالوا لهم : سلام عليكم ، لانجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرًا .

ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أي ذلك كان . فيقال – والله أعلم – فيهم نزلت هذه الآيات ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ● وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٥٣) ﴾ .. إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٣٦]

تحليل نصوص القسم الثاني

تمثل هجرة المسلمين إلى الحبشة مرحلة هامة من مراحل العلاقات بين الإسلام ، ممثلاً في هؤلاء المهاجرين ، والنصرانية ممثلة في نجاشي الحبشة ، الذي فتح أبواب بلاده لهؤلاء المهاجرين فآواهم وحماهم .

والحقيقة أن النصوص التي وردت في هذا الصدد في كتاب السيرة النبوية تعكس لنا بصورة واضحة موقف مملكة الحبشة النصرانية من الرسول صلى الله عليه وسلم والأمة الإسلامية الناشئة . ولا شك أن هذا الموقف ، سواء كان وديًا أو عدائيًا ، قد بُني على علاقات تاريخية قديمة ربطت بلاد الحبشة ببلاد العرب ، دينيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا .

لقد سهَّل قرب الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية مَن الساحل الإفريقي ، حركة انتقال السكان بين الجانبين[٣٧] لغرض التجارة ونحوها . وبقيام دولة أكسوم[٣٨] في الحبشة واعتناقها المسيحية ، تحول ميزان القوى لصالح الحبشة ، فقاموا بغزو بلاد اليمن في حوالي سنة ٥٢٤م لمساعدة المسيحيين هناك ضد ذي نواس ، آخر ملوك حمير[٣٩] الذي اعتنق اليهودية وأخذ في تعذيب المسيحيين في بلاده .

وأثناء الوجود الحبشي باليمن تمت محاولة الأحباش لغزو مكة المكرمة وهدم الكعبة الشريفة ، وكان ذلك في عام ٥٧٠م المعروف بعام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبعد مضي حوالي خمس وأربعين سنة من هذا الحدث ، أي في السنة الخامسة للدعوة ، نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه الذين عانوا من قريش : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه »[٤٠] .

هذا القول ينم في الواقع عن معرفة دقيقة بأحوال بلاد الحبشة في ذلك الوقت ، ولعل قول الرسول صلى الله عليه وسلم إنها « أرض صدق » كان إشارة إلى اعتناق أهلها النصرانية ، وهي دين سماوي بخلاف ما كانت عليه القبائل العربية التي كانت تدين بالوثنية . أضف إلى ذلك أن ملك الحبشة ، كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان « لا يُظلم عنده أحد » ، فهذه بلا شك ، صفة هامة لأناس يريدون أن يلجأوا إليه .

ولا أجد نفسي هنا متفقًا تمامًا مع الأستاذ جميل عبد الله المصري في إنكار أن موقف النصارى ، وبخاصة في الحبشة ، تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة كان أكثر لينًا وأقل عداوة من موقف اليهود ، يقول الأستاذ المصري :

> ولربما استنتج بعض من قوله عليه الصلاة والسلام (وهي أرض صدق) أن المسيحية كانت لا تقف في وجه الدعوة الإسلامية إن لم تكن ترحب بها . ولكن هذا استنتاج بعيد عن واقع الأمر ، فالأرض في مفهوم ذلك الزمن تبع لحاكمها ، فأرض صدق ، أي يحكمها رجل عادل صادق ، وكما وقف بعض الأحباش بجانب النجاشي ، وقف كثير منهم ضده ولم يرض عن حمايته للمسلمين واستنكر ذلك وحاولوا خلعه فخاف عليه المسلمون »[٤١] .

ولكننا إذا نظرنا إلى الآية الكريمة التي صدَّرنا بها هذا البحث نجدها تقول : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٤٢] .

وفي مكان آخر من كتابه[٤٣] يعترف الأستاذ المصري بأن هذه الآية نزلت في وفد نجران أو وفد النجاشي .

الحقيقة أن هنالك الكثير مما يُقوِّي الاعتقاد بأن النجاشي ، وكثير من الأحباش أبدوا شعوراً طيبًا تجاه المسلمين . فلعل النجاشي ، وجد راحة عقلية وروحية حين سمع عن نظرة المسلمين في وحدانية الله لأن الأحباش كانوا يميلون إلى عقيدة التوحيد بخلاف روما والبلاط الإمبراطوري »[٤٤] فالمعروف أن الحبشة كانت على مذهب النسطورية الذي يقوم على التوحيد وإنكار ألوهية المسيح[٤٥] . (وسنرى فيما بعد أن كيفية استقبال هرقل - قيصر الروم - والمقوقس - حاكم مصر - لمبعوثي الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد أن موقف النصارى من الدعوة الإسلامية كان أكثر اعتدالاً من موقف اليهود) .

على أي حال فإن هذه العلاقة بين المسلمين ، ممثلين في هؤلاء المهاجرين ، وبين الحبشة ممثلة في شخص النجاشي ، قد وضعت على المحك عندما تنبهت قريش إلى خطر وجود بعض المسلمين في الحبشة ، التي كانت تربطها بها علاقات تجارية هامة[٤٦] ، فقررت أن تعمل على

طرد المسلمين من الحبشة بتأليب النجاشي عليهم ، فاختارت لهذه المهمة رجلين جلدين من رجالها هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، وبعثتهما إلى النجاشي محمَّلين بالهدايا له ولبطارقته[٤٧] . غير أن النجاشي عندما علم أن هذه الهدايا التي بعثت بها قريش كان الغرض منها رشوته ليحيد عن العدل ويطرد المسلمين ، ردها عليهم غاضبًا . ولم يكتف النجاشي بذلك بل اتخذ موقفا مؤيدا للمسلمين ، وذلك عندما أعلن أن ما جاء في القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام مطابق لحقيقة أمر عيسى[٤٨] . وكان هذا موقفًا خطيرًا بالنسبة لرجال الدين الأحباش من رجل كان على رأس أكبر وأقدم دولة نصرانية في إفريقيا ، وكاد الأمر يؤدي إلى مواجهة بين النجاشي وشعبه لولا أن النجاشي استخدم عقله وحكمته في تفويت الفرصة على أعدائه للعمل على عزله أو قتله بسبب موقفه المؤيد للمسلمين .

تمخضت عن علاقة المسلمين بالحبشة في هذه الفترة نتيجتان هامتان ، أولاهما كانت اعتناق النجاشي للإسلام . ومع أنه ليس واضحًا تمامًا متى اعتنق النجاشي الإسلام ، فهل حدث هذا مثلاً بعد الحوار الذي أجراه معه جعفر بن أبي طالب ، الذي كان على رأس المهاجرين ؟ ، أم أنه أسلم سنة (٦)هـ عندما بعث إليه الرسول صلى الله عليه وسلم برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام[٤٩]؟ ، وسؤال آخر لا نستطيع أن نجد عليه إجابة ، وهو ما إذا كان النجاشي قد أعلن إسلامه أم أنه ظل يخفي هذا الأمر عن شعبه ورجال دولته حتى وفاته ؟

غير أنه مما لاشك فيه أن النجاشي ثبت على إسلامه حتى وفاته سنة (٩)هـ ، فقد ذُكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر المسلمين بوفاته وأمرهم بأداء صلاة الغائب عليه[٥٠] .

أما النتيجة الثانية فقد كانت تتمثل في قدوم وفد من نصارى الحبشة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة للاستماع إليه ومعرفة حقيقة رسالته ، وكان ذلك بمكة قبل الهجرة إلى المدينة . وما كادوا يستمعون إليه وإلى ما تلاه عليهم من القرآن الكريم حتى آمنوا به وصدقوه[٥١] .

ومع أن هناك رواية أخرى تقول إن هذا الوفد كان من نصارى نجران[٥٢] ، إلا أن الإنسان لا يستبعد حضور بعض نصارى الحبشة للالتقاء بالرسول صلى الله عليه وسلم في مكة والاستماع إليه ، خاصة بعد الجدل والحوار الذي دار في بلادهم بين المسلمين والنجاشي ومبعوثي قريش . ولعل هذا الوفد الذي قدم إلى مكة من نصارى الحبشة كانت لديه أيضًا معلومات مستقاة من كتبهم السماوية عن ظهور نبي في هذه البلاد مثلما كان هو الحال بالنسبة لرجال الدين المسيحي في بلاد الشام ونصارى نجران (سيأتي الحديث عنهم) .

مهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نقول إن موقف بلاد الحبشة النصرانية من الدعوة

الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان بصفة عامة موقفًا إيجابيًا ، ويتمثل ذلك في قبول النجاشي للمهاجرين المسلمين في أرضه وحمايتهم ومنحهم الحرية في ممارسة عباداتهم ، ثم في اعتناقه الإسلام وفي اعتناق أعداد أخرى من نصارى الحبشة للإسلام .

القسم الثالث

زيارة وفد نصارى نجران للمدينة وما جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبينهم (السيرة النبوية : الجزء الثاني صفحة ٢١٥ - ٢٢٥)

ذكر نصارى نجران وما نـزّل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف : « قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفد نصارى نجران ، ستون راكبًا ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يتولى أمرهم : العاقب ، أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ؛ والسيد ، لهم ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدراسهم .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرّفوه وموّلوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم » .

إسلام كوز بن علقمة : « فلما رجعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كوز بن علقمة - قال ابن هشام : ويقال كرز - فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد ، يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فقال له أبو حارثة : بل وأنت تعست! فقال : ولم ياأخي؟ قال ، والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر ، فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا وموّلونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى . فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يحدث عنه الحديث فيما بلغني » .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس : « قال ابن هشام : وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم . فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتمًا مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله

عليه وسلم يمشي فعثر ، فقال له ابنه : تعس الأبعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبي واسمه في الوضائع ، يعني الكتب . فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم فحسن إسلامهُ وحج » .

صلاتهم إلى جهة المشرق : « قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات[٥٣] جبب وأردية ، في جمال رجال بني الحارث بن كعب . قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلون : فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :دعوهم . فصلوا إلى **المشرق** » .

أسماؤهم ومعتقداتهم : « قال ابن إسحاق : فكانت تسمية الأربعة عشر ، الذين يؤول إليهم أمرهم : العاقب ، وهو عبد المسيح ، والسيد هو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبيه ، وخويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويحنس ، في ستين راكبًا فكلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهم أبا حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد – وهم من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله . ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون في قولهم : « هو الله » بأنه كان يحيي الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[٥٤] .

ويحتجون في قولهم : أنه ولد الله ، بأنهم يقولون : لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم في المهد ، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم : « أنه ثالث ثلاثة » بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم . ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن – فلما كلمه الحبران ، قال لهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسلما ، قالا : قد أسلمنا ، قال : إنكما لم تسلما فأسلما ، قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك ، قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ،

وأكلكما الخنزير ، قالا : فمن أبوه يامحمد؟ فصمت عنهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يجبهما » .

مانزل فيهم من القرآن (السيرة النبوية : الجزء ٢ ، ص ص ٢١٨ - ٢٢٥)

يقول ابن إسحاق : « فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها » .

والحقيقة أننا لسنا بحاجة إلى إيراد تفسير ابن إسحاق لهذا الجزء من السورة ، وإنما سنكتفي بذكر المسائل التي أشارت إليها الآيات الكريمة التي تبين القول الحق في أمر عيسى عليه السلام وزيف معتقدات النصارى وما أدخلوه من تحريف على دينهم .

وهذه المسائل هي :

١ - كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين بغير حق .

٢ - خلق عيسى وخبر مريم وزكريا .

٣- كفالة زكريا لمريم .

٤ - كفالة أحد الرهبان (الذي سماه ابن إسحاق جريج الراهب) لمريم بعد زكريا .

٥ - البشرى التي تلقتها مريم من الله بحملها بعيسى .

٦ - إن الله قد علَّم عيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل .

٧- إن عيسى مرسل من الله إلى بني إسرائيل .

٨- المعجزات التي جعلها الله على يد عيسى .

٩ - جحود بني إسرائيل بنبوة عيسى وكفرهم به .

١٠ - مكرهم لصلب عيسى وقتله .

١١ - رفع الله عيسى إليه وطهره من الذين كفروا .

١٢ - دعوة نصارى نجران إلى الملاعنة إن تمسكوا باعتقادهم الزائف في خلق عيسى بعد كل هذه الدلائل .

إباؤهم الملاعنة : « فلما أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى

ذلك ، فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : ياعبد المسيح ، ماذا ترى؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمدًا لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيًا قط فبقي كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضًا » .

أبو عبيدة يتولى أمرهم : « قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين » . قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجرًا ، فلما صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الظهر سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيده بن الجراح ، فدعاه فقال : « اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » ، وقال عمر : فذهب بها أبو عبيدة » .

تحليل نصوص القسم الثالث

« قال ابن إسحاق : « لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه[٥٥] وكان ذلك في سنة (٩)هـ التي تسمى سنة الوفود » .

في الغالب ، فإن وفد نصارى نجران قدم إلى المدينة خلال هذا العام حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستقبل في السنوات التي سبقت ذلك أيًا من وفود العرب . ولاشك أن الزحف الإسلامي في أنحاء شبه الجزيرة العربية ، والانتصارات التي حققها المسلمون ضد أعدائهم من اليهود والنصارى والوثنيين ، هي التي دفعت نصارى نجران للإسراع بالقدوم إلى المدينة والاتفاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم لتأمين أوضاعهم . ويتضح من النصوص السابقة مدى الارتباط الذي كان قائما بين نصارى نجران والروم ، أي دولة الروم البيزنطيين التي شرفتهم وأكرمتهم بالوظائف الدينية وكانت تمدهم بالأموال وتبني لهم الكنائس[٥٦] .

ولهذا كان من الصعب عليهم مخالفة الروم والخروج عن طاعتهم ، رغم اقتناع بعض

رؤسائهم بصدق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكنهم في نفس الوقت كانوا لا يريدون أن تفوت عليهم الفرصة في الحصول على أفضل الشروط قبل أن يجتاحهم المد الإسلامي ، خاصة وأن جيوش المسلمين بدأت تطرق أبواب الشام (غزوة تبوك) ولم يعد مؤكدًا أن الروم وحلفاءهم من العرب سوف يستطيعون وقف هذا التيار الإسلامي الجارف في الشمال ، فما بالك بالجنوب .

وفي المقابلة التي تمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم ووفد نجران دعا الرسول صلى الله عليه وسلم رؤساءهم للإسلام فاستكبروا وأظهروا التمسك بمعتقداتهم الخاطئة حول عيسى ابن مريم ، مثل قولهم إنه الله وقولهم هو ولد الله وقولهم ثالث ثلاثة ، أي هو وعيسى ومريم ؛ فجاءهم الرد فيما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من قرآن في سورة آل عمران في أكثر من ثمانين آية ، لتصبح هذه الحقائق التي أوردها القرآن الكريم عن مريم وعيسى بمثابة رسالة موجهة ليست فقط لنصارى نجران ، وإنما لكل أتباع النصرانية في كل زمان ومكان بحجة واضحة وأدلة دامغة ختمها القرآن الكريم بتحد كبير عندما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو كل من يُحاجُّه في عيسى بعدما جاءهُ عنه من العلم إلى المباهلة والملاعنة . وقد أدرك نصارى نجران صعوبة موقفهم فعادوا إلى صوابهم ورفضوا قبول التحدي وأذعنوا لسلطة الأمة الإسلامية على أن يظلوا على دينهم . وقبلوا أن يبعث معهم الرسول صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه (أبو عبيدة بن الجراح) ليقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه(٥٧) ، وعقد معهم الرسول صلى الله عليه وسلم اتفاقاً منحهم الأمن والأمان لهم ولمعابدهم ، والتزموا هم من جانبهم بدفع بعض الأموال لخزينة الأمة الإسلامية نظير هذه الحماية والحرية الدينية(٥٨) .

ونخلص من هذا إلى أن الإسلام انتصر على نصارى نجران بالحجة والمنطق ، فأذعنوا لسلطة الأمة الإسلامية ، .ومع ذلك ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجبرهم على اعتناق الإسلام ، وإنما منحهم الحرية الدينية التامة ، وهو تسامح يندر أن نجد له مثيلاً في التاريخ ، ولا اعتقد أن حادثة الأخدود وما جرى للنصارى في نجران على يد ذي نواس (الذي اعتنق اليهودية) قد تم نسيانها في ذلك الوقت .

وهاهم نصارى نجران يجدون أنفسهم أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فيقارعهم بالحجة والمنطق وبما نزل عليه من القرآن الكريم في شأن عيسى عليه السلام في حقائق علمية دامغة أقامت الدليل عليهم . وما إباؤهم الملاعنة إلا اعتراف صريح من جانبهم بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا يعلمون أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مستجابة وسيحل بهم غضب من الله .

القسم الرابع

الروايات التي تتحدث عما جرى من نزاع بين يهود المدينة ونصارى نجران عند قدومهم للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم

(السيرة النبوية : الجزء الثاني ، صفحة ١٩٠ - ١٩١)

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم : « قال ابن إسحاق : ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة : ما أنتم علي شيء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء ، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٥٩) أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به ، أي يكفر اليهود بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما في يد صاحبه » .

قال ابن إسحاق : وقال رافع بن حريملة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : يامحمد : إن كنت رسولاً من الله كما تقول ، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٦٠) .

« وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيوني لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتد ، وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى : ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٦١) . ثم القصة إلى قول الله تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٦٢)

(السيرة النبوية : الجزء الثاني ، صفحة ١٩٤)

تنازع اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام : « وقال أحبار يهود ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتنازعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا

يهوديًا ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٦٣) .

(السيرة النبوية : الجزء الثاني ، صفحة ١٩٥)

ما نُزِّل في قول أبي رافع « أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى » : « وقال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الأحبار من يهود ، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له : الريس ، ويروى : الريس ، والرئيس : أو ذاك تريد منا يامحمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني الله ، ولا أمرني » ، أو كما قال . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(٦٤) .

قال ابن هشام : الربَّانيون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رباني .

(السيرة النبوية : الجزء الثاني ، صفحة ٢٠٨ – ٢٠٩)

إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام : « قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نفر منهم : أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد وأزار بن أبي أزار ، وأشيع . فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾(٦٥) ... فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولا بمن آمن به ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾(٦٦) .

تحليـــل نصـــوص القسم الرابـــع

تتناول النصوص السابقة ما جرى بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصارى نجران عند قدومهم إليه ولقائهم به ، ومواجهتهم ليهود المدينة . وفي البداية لابد أن نثبت حقيقة هامة توصلنا إليها ، وهي أن هذا اللقاء والحوار الذي دار في المدينة بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصارى نجران ويهود المدينة من جهة ، والنقاش الذي حدث بين النصارى واليهود من جهة أخرى ، يعتبر أول لقاء وحوار في التاريخ يتم بين أصحاب هذه الديانات السماوية الثلاث : الإسلام واليهودية والنصرانية .

إن موقف اليهود من الدعوة الإسلامية كان من البداية هو عدم القبول بها والتصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . والقرآن الكريم تزخر آياته وسوره بتصوير هذا الموقف . غير أننا نلاحظ أن الأستاذ المصري[٦٧] دائما يربط بين اليهود والنصارى من خلال تعبير « أهل الكتاب » في كل الأحداث التي جرت في المدينة . والواقع أن النصارى الذين كانوا في المدينة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم وزن وثقل سياسي أو اقتصادي أو حربي يجعلهم يؤثرون على هذه الأحداث السياسية والحربية ، وإنما كان الوزن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحربي لليهود . وكل ما تم من مؤامرات ضد الإسلام والمسلمين في داخل المدينة ، ومحاولات التحالف مع أعداء الإسلام في الخارج قام بها اليهود . وحتى أبو عامر الراهب[٦٨] الذي ادعى اعتناق النصرانية وجادل الرسول - صلى الله عليه وسلم - حول الحنيفية ، لم يجد من يتبعه على نصرانيته ، وإنما كان الذين أيدوه من الأوس قد فعلوا ذلك من منطلق قبلي .

فلو كان للنصارى وجود مؤثر في المدينة ، كما يزعم الأستاذ المصري ، لكان ورد اسمهم في اتفاقية الصحيفة التي كتبها الرسول - صلى الله عليه وسلم - حال قدومه إلى المدينة ، ونظم فيها العلاقات بين المسلمين وجميع القوى السياسية الموجودة هناك . ولا نجد في هذه الصحيفة أيّ ذكر للنصارى .

والغريب في الأمر أن الأستاذ المصري يعترف في مكان آخر من كتابه[٦٩] أن قلة أعداد النصارى في المدينة جعل أثرهم قليلاً .

ومهما يكن من أمر فإن حضور وفد النصارى من نجران إلى المدينة كان فرصة لليهود هناك ليعبروا عن عدائهم ليس للإسلام فحسب ، وإنما للنصرانية وأتباعها أيضًا . فما أن اجتمعوا عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى اتهم اليهود نصارى نجران بأنهم ليسوا على شيء ،

وأنهم كفروا بعيسى وبالإنجيل . ولم يتوان نصارى نجران في توجيه نفس الاتهام ليهود المدينة بأنهم أيضا ليسوا على شيء وجحدوا بنبوة موسى وكفروا بالتوراة .

وكان رد الرسول - صلى الله عليه وسلم - متمثلاً فيما نزل عليه من قرآن كريم أن الأساس في التوراة والإنجيل هو عدم إنكار أي من الرسولين موسى وعيسى لرسالة الآخر .

واستنادًا على قول كل منهما أنه على حق دون الآخر دعا كل منهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليتبع دينه ، فجاءهم الرد بأن ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الحنيفية التي كان عليها إبراهيم عليه السلام .

هنا حاول كل من الفريقين ، يهود المدينة ونصارى نجران ، أن ينسب إبراهيم إلى اليهودية أو النصرانية . غير أن هذه المحاولة أيضا أحبطت بما نزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قرآن عن إبراهيم، ونفي كونه يهوديًا أو نصرانيًا .

مسألة أخرى آثارها اليهود تتعلق باعتقادهم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يريد منهم إذا اتبعوه أن يُألِّهوه ويعبدوه كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ، فاستعاذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - باللّه أن يشرك بعبادته شيئًا أو أحدًا . وكان هذا في حد ذاته انتقادًا من اليهود لممارسات النصارى .

وبلغت عداوة اليهود تجاه النصارى حدًا جعلهم ينكرون على الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يؤمن بعيسى مثلما يؤمن ببقية الرسل فقالوا : لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولا بمن آمن به ، وكأنما يرمون بذلك أنهم على استعداد لاتباعه لو أنكر نبوة عيسى ، غير أن هذه حيلة خبيثة واهية منهم ، لأن موقفهم العدائي من الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان واضحًا من البداية ، وقبل أن تتم هذه المواجهة بينهم وبين نصارى نجران .

وخلاصة القول إن هذا اللقاء أوضح لكل من النصارى واليهود حقيقة الدعوة الإسلامية وموقفها من الديانات السماوية ، وبخاصة اليهودية والنصرانية ، فإذا كان أتباع هاتين الديانتين قد أضحوا لا يعترفون ببعضهم بعضًا ، فإن الإسلام يقر بنبوة موسى ونبوة عيسى . غير أن أحقادهما تجاه بعض من جهة ،وحسدهما للرسول - صلى الله عليه وسلم - من جهة أخرى منعاهما من أن يلتقيا لقبول دعوة الإسلام التي هي خاتمة الرسالات التي بُشِّروا بها . إن هذا اللقاء وما جرى فيه وما تمخض عنه يعتبر نقطة هامة ناصعة البياض في التاريخ الحضاري للأمة الإسلامية . فقد خرجت الدعوة الإسلامية من هذا اللقاء أيضا منتصرة بالحجة والمنطق .

القسم الخـــامس

الرســائـل التي بعث بهـا الرســـول - صلى الله عليه وسلم - ، إلى النصــارى الــروم والعــرب

(السيرة النبويـة : الجزء الرابـع ، صفحة ٢٥٣)

بَعَثُ رســـول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الملـــوك

« قال ابن هشام : وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صُدَّ عنها يوم الحديبية ، فقال : « أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكآفة ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم » ، فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله؟ قال : « دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه بعثا قريبا فرضي وسلم ، وأما من بعثه مبعثًا بعيدًا فكرهَ وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها » .

أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم : « فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ، وبعث عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، ملك الاسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندي الأزديين ، ملكي عمان ، وبعث سليط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك تخوم الشام » .

قال ابن هشام : « بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ، ملك اليمن » .

البعــوث العسكريـة التي أعقبت الرســـائل

(السيرة النبويـة : الجزء الرابـع ، صفحة ١١ - ١٦)

غزوة مؤتـة : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس .

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف .

ثم مضوا حتى نزلوا معان(٧٠)، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب(٧١)، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلي ثم أحد أراشة يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له .

قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : ياقوم ، والله إنَّ التي تكرهون ، للتي خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد و الله صدق ابن رواحة . فمضى الناس ».

لقاء الروم وحلفائهم : « قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها : مشارف(٧٢)، ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة . فالتقى الناس عندها ، فتعبأ لها المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك » .

(السيرة النبويـة : الجزء الرابـع ، صفحة ١٩)

إمارة خالد : « ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم . وخاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس ».

(السيرة النبويـة : الجزء الرابـع ، صفحة ١٥٥ - ١٥٦)

غـزوة تبـوك في رجب سنـة تسـع

قال : « حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبدالله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبي ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبدالله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لايحدث بعض ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد . وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها ، وأخبر إنه يريد غير الوجه الذي يعمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيّنها للناس لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يعمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم » .

(السيرة النبويـة : الجزء الرابـع ، صفحة ١٦٥ - ١٦٦)

تخويف المنافقين للمسلمين : « قال ابن إسحاق : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة ابن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له : مخشن بن حمير - قال ابن هشام : ويقال مخشي - يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟! والله لكأنّا بكم غداً مقرّنين في الحبال ، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمير : و الله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني لعمار بن ياسر : « أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن انكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا » . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها : يارسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (٧٣) وقال مخشن بن حمير : يارسول الله ، قعد بي اسمي واسم ابي ، وكأن الذي عُفي عنه في هذه الآية مخشن بن حمير ، فتسمى عبدالرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله

شهيداً لا يُعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر » .

الصلح مع صاحب أيلة[٧٤] : « ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يحنة ابن رؤبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح[٧٥] ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابًا ، فهو عندهم ».

فكتب ليحنة بن رؤبة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثًا ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماءً يردونه ، ولا طريقًا يريدونه ، من بر أو بحر ».

(السيرة النبوية : الجزء الرابع ، صفحة ١٦٦ - ١٦٧)

خالد وأكيدر دومة

« ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكًا عليها ، وكان نصرانيًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط؟ قال : لا و الله! قالت : فمن يترك هذه؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسان ، فركب وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج محوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه ».

« قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أكيدر حين قُدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا ».

قال ابن إسحاق : « ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له

دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ».

فأقام رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة ».

تحليـــل نصـــوص القسم الخـــامس

تتناول النصوص آنفة الذكر الجانب الحربي من موقف النصارى من الأمة الإسلامية . ولا شك أن النصارى الموجودين في بعض أنحاء شبه الجزيرة العربية أو في الشام وأطرافها قد بلغتهم أخبار الدعوة الإسلامية ، خاصة بعد الانتصارات التي حققتها الأمة الإسلامية على قريش ومجموعات اليهود داخل المدينة . ومن أهم هذه الانتصارات التي ترتبت عليها نتائج هامة ، الانتصار السياسي الذي حققه الرسول صلى‌الله عليه وسلم أواخر سنة (٦)هـ في الحديبية حيث عقد اتفاق الهدنة مع قريش وحصل منها على اعتراف بحق المسلمين في الدخول إلى مكة لأداء العمرة في العام الذي يلي ذلك ، أي سنة (٧)هـ ؛ وبعد عودته إلى المدينة أعد الرسول صلى‌الله عليه وسلم رسائله واختار مبعوثيه الذين سيحملون هذه الرسائل إلى الملوك والحكام داخل وخارج شبه الجزيرة العربية ، وفي الغالب فإن هذا تم في مطلع العام السابع للهجرة[٧٦] .

مهما يكن من أمر فإن هذا التوقيت كانت له دلالته؛ فقريش قد وهنت قوتها ولم تعد قادرة على مواجهة الأمة الإسلامية ولم يعد باستطاعتها أن تستخدم نفوذها السابق في صد القبائل العربية عن الإسلام . ولهذا فإن الوقت أصبح مناسبًا لمخاطبة ملوك وزعماء هذه القبائل العربية ودعوتهم للإسلام .

من جهة أخرى فإن أهم منفذ للدعوة الإسلامية إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، وهو بلاد الشام ومصر كان يقع تحت سيطرة دولة الروم البيزنطية . أما أطراف الشام المجاورة لبلاد العرب فقد كانت تسكنها قبائل عربية موالية للروم وحليفة لهم ومعظمها كان يدين بالنصرانية . ومن هنا فإن الاحتكاك بين المسلمين وبين الروم وحلفائهم كان لابد أن يقع .

من هذا المنطلق فإن رسائل الرسول صلى‌الله عليه وسلم لهؤلاء الملوك والزعماء كانت بمثابة إنذار كتابي لهم يسبق العمل العسكري ، إن هم رفضوا الخيارين الآخرين ، وهما الدخول في الإسلام أو دفع الجزية . وبما أن موضوعنا تناول بحث موقف النصارى من الدعوة الإسلامية ، فإننا سنقصر حديثنا على الرسائل التي أرسلت إلى الملوك والحكام النصارى لنرى موقفهم منها ورد الفعل بالنسبة للرسول صلى‌الله عليه وسلم .

أما الرسل الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم برسائله فقد كانوا على النحو التالي :

- دحية بن خليفة الكلبي ، بعثه إلى قيصر ملك الروم .
- حاطب بن أبي بلتعة ، بعثه إلى المقوقس ملك الإسكندرية .
- شجاع بن وهب ، بعثه إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، أو إلى جبلة بن الأيهم الغساني .
- عمرو بن أمية الضمري ، بعثه إلى النجاشي ملك الحبشة .

رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم

قبل أن نتحدث عن هذه الرسالة ورد الفعل الذي أحدثته لدى هرقل وكبار رجال دولته من القادة ورجال الدين ، لابد أن نوضح الفكرة التي كانت تسيطر على عقول العرب في الجاهلية عن دولة الروم ونظرتهم إليها ، هذه النظرة التي كانت لاتزال راسخة في عقول البعض وبخاصة المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة . فقد كانت دولة الروم ، في نظر هؤلاء قوة كبرى تتقاسم السيادة على العالم آنذاك مع دولة الفرس . بل إن الروم عن قريب استطاعوا التغلب على منافسيهم الخطيرين من الفرس ، فكيف يمكن لأمة ناشئة مثل الأمة الإسلامية أن تقارع دولة مثل هذه؟ وقد ظهر هذا التخويف من الروم في أقوال بعض المنافقين عندما عزم الرسول صلى الله عليه وسلم القيام بغزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، « فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بن الأصفر[٧٧] كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنًا بكم غدًا مقرَّنين في الحبال ، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين »[٧٨] .

أما رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم التي أشرنا إليها آنفًا فقد حملها دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل قيصر الروم ، الذي تصادف وجوده في الشام في ذلك الوقت[٧٩] ، وقد أورد الطبري في هذا الشأن عدة روايات لما جرى في بلاط هرقل بعد تسلمه لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وعلى الرغم من أن الطبري يذكر محمد بن إسحاق كأحد مصادره لهذه الروايات ، إلا أن كتاب السيرة النبوية لا يحوي هذه التفصيلات التي ذكرها الطبري . ولكن نظرًا لأهمية ما أورده الطبري بالنسبة لموضوعنا ، فإننا سنقوم بتلخيص تلك الروايات ، ولكن مع التزام جانب الحذر في قبول كل ما ورد فيها ، حيث إن بعض ما جاء فيها مما قاله أو فعله هرقل عند تلقيه كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيه الكثير من المبالغة ، كما سنرى .

وملخص ما قاله الطبري[٨٠] ، إن أبا سفيان بن حرب (أحد قادة قريش) خرج في تجارة له إلى غزة بجنوب الشام عقب الهدنة التي توصل إليها الرسول صلى الله عليه وسلم مع قريش في الحديبية في شهر ذي القعدة سنة (٦)هـ . وقد تصادف أن هرقل إمبراطور الروم كان موجوداً في بيت المقدس حيث جاءها زائرًا لأداء الصلاة وشكرًا لله الذي نصره على الفرس

ورد عليه منهم الصليب الأعظم[٨١].

وتقول الرواية : إن هرقل شاهد في الحلم ظهور أمة يختتن أهلها ، وقد فسر بطارقته هذا بأن هؤلاء هم اليهود وأشاروا عليه بالقضاء على كل يهودي في بلاده . غير أن هرقل مالبث أن دخل عليه في مجلسه ذاك رسول صاحب بصرى[٨٢] يقود رجلاً من العرب ، وأخبره أن هذا الرجل يتحدث عن خروج نبي ببلاده صدقه ناس وتبعوه وخالفه آخرون . فأمر هرقل بتجريد الرجل من ثيابه فإذا هو مختون ، فأدرك على التو أن أمة العرب هي التي رآها ظاهرة في منامه وليس اليهود . فدعا صاحب شرطته وأمره أن يقلب الشام ظهراً وبطنًا حتى يأتيه برجل من قوم النبي صلى الله عليه وسلم فعثر صاحب الشرطة على أبي سفيان بن حرب ومن معه فأخذهم إلى هرقل . وعندما علم هرقل بأن أبا سفيان أقربهم رحمًا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدأ يسأله عنه وعن نسبه وعمن تبعه من الناس ، وعن أحواله وتصرفاته . فتأكد لهرقل ، بعد ما سمعه من أبي سفيان أن هذا هو النبي المنتظر وأن أمره سيعلو .

وفي رواية أخرى[٨٣] إن هرقل عندما تسلم رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وتأكدت له حقيقة أمره وصدق رسالته ، جمع بطارقة الروم وأطلعهم على فحوى الرسالة التي جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن تتول فإن إثم الأكارين عليك » ، يعني تحماله[٨٤].

وطلب هرقل من البطارقة أن يصدقوا النبي ويتبعوه ولكنهم استنكروا هذا الأمر منه حتى خافهم على نفسه ، من شدة غضبهم ، فتراجع عن قوله وذكر لهم أنه قال ما قال ليرى صلابتهم في دينهم لهذا الأمر الذي حدث ، فهدأت نفوسهم وأذعنوا له بالطاعة .

وتمضي الرواية قائلة إن هرقل اقترح على دحية أن يذهب إلى ضغاطر[٨٥] الأسقف ليطلعه على أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو من جانبه مقتنع ولكنه يخشى الروم على نفسه ، أما ضغاطر فهو أعظم مكانة في الروم منه وكلمته مسموعة لديهم . فذهب دحية إلى ضغاطر الأسقف وأخبره بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأدرك أن هذا هو النبي الذي يجدونه في كتبهم أنه سيظهر بعد عيسى ، فما كان منه إلا أن استبدل ثيابه السود بثياب بيضاء ثم خرج على الروم وهم في الكنيسة فأعلن إسلامه ، فما كان منهم إلا أن هجموا عليه وضربوه حتى قتلوه .

وفي رواية أخرى[٨٦] إن هرقل عندما أراد الخروج من الشام إلى القسطنطينية جمع الروم وقام بمحاولة أخيرة لاقناعهم بصحة رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاهم لاتباعه ، فإن

هم أبوا فليدفع له الجزية ، أو يصالحه ويعطيه أرض سورية (أي أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص) ويحتفظ الروم بما وراء ذلك من أرض الشام . ولكنهم رفضوا جميع اقتراحاته ، فما كان منه إلا أن خرج متوجهاً إلى بلاده مودعًا سوريا الوداع الأخير وكأنما أدرك أنها ستؤول للمسلمين .

هذه الروايات التي ذكرها الطبري أوردها ، مع بعض الاختلاف والزيادات ، ابن حديدة الأنصاري في كتابه « المصباح المضيء »(٨٧) .

وحتى لا نطيل السرد بإيراد نصوص جميع هذه الروايات فإننا سنكتفي بإعطاء ملخص لها حتى يمكن مقارنتها بما جاء في كتاب الطبري .

تقول الرواية الأولى (وقد نسبها إلى أبي بكر البزار في مسنده) إن دحية قدم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه له (إلى هرقل) في حضور ابن أخ له ، وما أن قرأ الكتاب الذي جاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » اعترض ابن الأخ هذا طالبا عدم قراءة الكتاب فلما سأله قيصر عن السبب قال لأنه بدأ بنفسه ، وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم . غير أن هرقل تجاوز عن ذلك وأمر بالكتاب فقرىء . ثم تشير الرواية إلى أن دحية قابل هرقل في حضور الأسقف وعندما اطلع الأخير على فحوى الكتاب ، قال : إن هذا الذي كنا ننتظر وبشر به عيسى وإنه مصدقه ومتبعه . ولكن قيصر خشي إن فعل هو ذلك ذهب ملكه .

وتمضي الرواية بعد ذلك للحديث عن إرسال قيصر لأبي سفيان وسؤاله له عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا دحية فحمَّله رسالة شفهية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه يعلم أنه نبي ، ولكنه (أي هرقل) لا يترك ملكه .

أما الأسقف فقد أعطى دحية رسالة مكتوبة للرسول صلى الله عليه وسلم يَشهده فيها على إسلامه ، ثم خرج على قومه فقتلوه لارتيابهم في أمره .

أما الرواية الثانية فقد نسبها إلى ابن عبد البر في ترجمة دحية ، وخلاصتها أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه إلى قيصر فآمن به قيصر وأبت بطارقته أن تؤمن ، فأخبر بذلك دحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ثبت ملكه .

أما الرواية الثالثة فمصدرها صحيح مسلم وهي تتناول حديث أبي سفيان ، فبعد أن سأله عن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا بالكتاب فقرأه فإذا فيه : « من محمد رسول الله ، وفي رواية : عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني

أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين . وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ « الآية »[٨٨] .

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا .

فإذا تمعنا في هذه الرواية نجدها تذكر أن دحية لم يذهب بنفسه لمقابلة هرقل وإنما سلَّم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظيم بصرى[٨٩] فرفعه هذا بدوره إلى هرقل ، وهذا يخالف ما جاء في الروايات السابقة التي تشير لمقابلة دحية لهرقل .

كذلك فإن هناك بعض الاختلاف في صيغة الكتاب حيث سُمِّي فيه هرقل « عظيم الروم » بدلا من « صاحب الروم » .

أما الرواية الرابعة فقد ذُكر أنها وردت في صحيح البخاري وهي أيضًا تتعلق بحديث أبي سفيان ولكنها تختلف مع الروايات الأخرى في بعض الأمور ؛ فقد جاء فيها أن هرقل أرسل إلى أبي سفيان ومعه بعض تجار قريش فأتوه في إيلياء فدخلوا عليه في مجلسه وحوله عظماء الروم فسألهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن الرواية تمضي فتزيد أن ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل نفسه سُقُفٌ (أي أساقفة) على نصارى أهل الشام . وقد ذُكر أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يومًا خبيث النفس (أي مهمومًا) فلما سأله بطارقته عن أمره قال لهم : إنه نظر تلك الليلة في النجوم فرأى أن ملك الختان قد ظهر . فأخبروه أن الذي يختتن هم اليهود وأشاروا عليه بقتلهم جميعًا ليرتاح باله . وبينما هم كذلك أُتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبره عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن هذا الرجل فوجدوه مختتنًا وعرفوا منه أن العرب يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية كان نظيره في العلم . فلما صار هرقل إلى حمص وافاه كتاب صاحبه يوافقه الرأي في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وعندها أذن هرقل لعظماء الروم فلما دخلوا عليه وهو بحمص أمر بالأبواب فأغلقت ثم طلب منهم مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم كما تقول الرواية « حاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب يريدون الخروج فطلب أن يُردُّوا إليه وأخبرهم أنه قال ما قال ليختبر شدتهم على دينهم . فقبلوا ذلك منه » .

أما الرواية الخامسة فمصدرها ابن الجوزي في كتابه « الوفا في فضائل المصطفى » ، وهي تشتمل على روايتين ، تبدأ إحداهما بالحديث عما أصاب قيصر من همٍّ لظهور ملك الختان ، وإذا برسول صاحب بصرى يأتيه برجل من العرب يحدث عن أمر ظهر في بلاده ، فلما سأله قيصر قال له : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبيٌّ فاتبعه ناس وخالفه آخرون ، وكان بينهم

ملاحم فتركتهم على ذلك ، فجُرِّد الرجل فإذا هو مختون ، فأمر قيصر صاحب شرطته ليأتيه برجل من قوم هذا الرجل فأتاه بأبي سفيان . ثم يمضي الحديث كما في الروايات السابقة .

أما الرواية الأخرى ، والتي نسبها ابن الجوزي للزهري فتقول : إن هرقل عندما جاءه كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم جعله بين فخذيه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ ، فجاءه الردُّ موافقًا لخبر ظهور النبي صلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ في هذه الروايات الأخيرة أنها يطغى عليها حديث أبي سفيان ولا يوجد فيها ذكر لقدوم دحية إلى بلاط هرقل؛ حيث يفهم من هذه الروايات أن مهمة دحية انتهت عند صاحب بصرى ، بل إن بعض الروايات تتحدث عن رجل عربي نكرة جييء به إلى هرقل ليحدثه بما سمعه عن خبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

غير أن الأنصاري عقد فصلا ذكر فيه ما رُوي عن دحية في شأن مخاطبته لقيصر . جاء في هذه الرواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجهه إلى ملك الروم بكتابه وكان (أي الرسول صلى الله عليه وسلم) بتبوك وهو (أي هرقل) بدمشق . ودعا دحية هرقل إلى الإسلام بعد أن أقنعه بالحجة ، وأن قيصر (أي هرقل) أخذ الكتاب فوضعه على عينيه ورأسه وقبَّله ثم طلب من دحية أن يمهله حتى ينظر ، ولكنه مالبث أن أتاه خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

ولاشك أن هذه الرواية تبعد كثيراً عن الحقيقة حيث إن غزوة الرسول صلى الله عليه وسلم لتبوك كانت في السنة التاسعة للهجرة ، بينما تجمع الروايات الأخرى على أن رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك كانت في السنة السادسة للهجرة ، وهي سنة هدنة الحديبية مع قريش .

أما الرواية الثانية عن دحية ففيها أيضًا الكثير من وجه الغرابة ، حيث ورد فيها أن هرقل - بعد تلقيه لكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم) -« أمر مناديا ينادي : ألا إنَّ هرقل قد آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتَّبعه ، فدخلت الأجناد في سلاحها وطافوا بقصره يريدون قتله ، فردهمَّ فرضوا عنه . ثم كتب كتابًا وأرسله مع دحية يقول فيه للنبي صلى الله عليه وسلم : إني مسلمٌ ولكنِّي مغلوب على أمري ، وأرسل إليه بهدية ، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه قال : كذب عدو الله ليس بمسلم بل هو على نصرانيته . »[٩٠]

أما أكثر الروايات غرابة فهي التي نسبت إلى دحية حيث قال : « وبعث إليَّ (أي هرقل) من الغد سراً فأدخلني بيتاً عظيمًا فيه ثلثمائة وثلاث عشرة صورة فإذا هي صور الأنبياء والمرسلين . قال : انظر أين صاحبك من هؤلاء؟ قال فرأيت صورة النبي صلى الله عليه وسلم كأنه ينظر . قلت هذا ، قال : صدقت فقال صورة من هذا عن يمينه؟ قلت : رجل من قومه يقال له أبو بكر

الصديق . قال فمن ذا عن يساره؟ قلت رجل من قومه يقال له عمر بن الخطاب قال : أما نجد في الكتاب أن بصاحبيه هَذين يُتمُّ الله هذا الدين[٩١] .

وآخر ما أورده الأنصاري من روايات ما نسبه إلى ابن إسحاق من أن هرقل عندما بلغه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جمع الروم فعرض عليهم عدة أمور ، وهي إما أن يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم أو أن يؤدوا إليه الجزية ، أو أن يعطيه أرض سورية ، وهي فلسطين والأردن ودمشق وحمص ومادون الدرب ، فأبوا عليه ذلك فانصرف راجعًا إلى القسطنطينية[٩٢] .

ويختم الأنصاري هذه الروايات التي أوردها بتعليق لطيف جاء فيه : « إن هرقل من أوفر أهل الكتاب عقلاً وأرجحهم علمًا وفضلاً ، فلولا ما علمه من تحقيق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وظهوره واطلع عليه من خفي علمه ومستوره لما أرشد إلى اتباعه ولا سارع إلى قبول كتابه واستماعه ، ولفعل كما فعل كسرى لما ورد عليه كتابه صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإيمان والإسلام فأعرض عن قبوله ومزقه ، وما أقبل عليه ولا صدَّقه ، لجهله وعدم معرفته بما أنزل الله تعالى في كتبه من الإعلام بنبوته صلى الله عليه وسلم ، ولأن قومه مجوس يعبدون النار ولم يكن لهم علم بأمور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ثم إن هذا الاعتراف من هرقل والخضوع له صلى الله عليه وسلم مع كثرة أتباعه وجنوده وبسطته في الأرض واقتداره ، وتمكنه من الرجال والمال القاضيين له ببلوغ الأوطار والآمال ، والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ ذاك قليل عددهم يسير مددهم . لا يخطرون لأحد من الملوك ببال ولا يمرون له على خيال ، لما كانوا عليه من الفقر الغالب والقل المصاحب ، فانقياد هرقل إليه مع هذه الحال واعترافه بنبوته وإيثاره للغاية ومبايعته في كرامته ، دليل على اطلاعه على ما صرح به وأظهره بعد إخفائه »[٩٣] .

بالطبع لا يستطيع الإنسان أن يقبل كل ما جاء في هذه الروايات كحقائق تاريخية مسلم بها . إذ ليس من المعقول مثلاً أن يُقبل الأسقف ضغاطر على قبول الإسلام ونبذ دينه بهذه السهولة التي عكستها الرواية . كذلك فإن ما ذكر من تصرف هرقل وأقواله بعد تلقيه لكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه الكثير من المبالغة ، ولكننا مع ذلك نتفق مع ما ذكره الأنصاري عن موقف هرقل وموقف كسرى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يجعلنا نعتقد أن هناك على الأقل قدراً من المرونة من قبل هرقل وغيره من زعماء النصارى تجاه الدعوة الإسلامية . فإذا كان أسلاف هؤلاء النصارى من الرهبان ، كما تحدثنا المصادر ، قد تنبأوا بظهور نبيٍّ يُبعث من بعد عيسى ، بل إن بعضهم رأى في الرسول صلى الله عليه وسلم علامات النبوة في مراحل مبكرة من حياته ، فما الذي يمنع من أن تكون تلك الأخبار لاتزال متداولة أو عالقة بالأذهان خاصة وأن الفترة الزمنية بين تاريخ بعض هذه النبوءات وبين عهد هرقل ليست طويلة .

رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم الإسكندرية

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر يحمل كتابًا إلى المقوقس حاكم الإسكندرية يدعوه فيها إلى الإسلام ، وقد جاء في الكتاب : « من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي رواية : عبد الله ورسوله) إلى المقوقس عظيم القبط ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين (وفي رواية) فإن توليت فعليك إثم القبط . ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ »[٩٤] .

ويقال إن المقوقس ، بعد أن جادله حاطب ، قال : قد كنت أعلم أن نبيًا قد بقي ، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام ، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعني في اتباعه ، ولا أحب أن يعلم بمحاورتي إياك ، وسيظهر علىٰ البلاد ، وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفًا فارجع إلى صاحبك . ثم دعا كاتبًا يكتب بالعربية فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك : أما بعد! فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيًا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمتُ رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك »[٩٥] .

إنْ كانت هذه الرسالة ، بهذه الصيغة أو بصيغة غيرها مما ورد في روايات المؤرخين المختلفة ، هي بالفعل ما كتبه المقوقس للرسول صلى الله عليه وسلم أم لا ، فإن هذا لا ينفي الحقيقة أن المقوقس قد بعث برد ما على كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مع حاطب وأرسل إليه معه بعض الهدايا ، وأرسل إليهِ مارية القبطية التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وأنجب منها ابنه إبراهيم ، وهذه حقيقة ثابتة .

ومن هذا المنطلق فإنه ليس بمستبعد أن يكون فيما ذُكر عن المقوقس من تصديقه برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم جانب كبيرٍ من الحقيقة . فالمقوقس لم يكن مجبرًا على هذا الموقف الذي وقفه والذي عبرت عنه هذه الهدايا التي بعث بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، في وقت كان فيه المقوقس في قوة وعزَّة ، وهو يملك ناصية الحكم في مصر ، بينما لم تتعد سلطة الأمة الإسلامية الناشئة حدود المدينة المنورة .

رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلي الحارث بن أبي شمر الغساني أو إلى جبلة بن الأيهم الغساني

تختلف الروايات هنا عما إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث بهذه الرسالة إلى الحارث الغساني أم إلى جبلة الغساني ، فابن هشام يختلف مع ابن إسحاق ويقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث شجاعًا إلى جبلة بن الأيهم ، أما محمد بن سعد(٩٦) فقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث شجاعَ بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وقد جاءه بغوطة دمشق وكان مشغولاً بالاستعدادات لاستقبال هرقل الذي كان في طريقه إلى الشام . ولم يستجب الحارث لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ بل إنه عزم على المسير إليه (في المدينة) ولكنه كتب إلى قيصر يستشيره في ذلك فأمره ألا يفعل وطلب منه أن يوافيه بإيلياء .

وفي رواية أخرى ذكر ابن سعد(٩٧) أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان (دون أن يذكر اسم مبعوثه إليه) يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية ، ولم يزل مسلمًا حتى كان في زمان عمر بن الخطاب حيث ارتد نصرانيًا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم إثر حادثة وقعت له مع رجل مسلم(٩٨) .

رغم اختلاف الروايات ، فمن الواضح أن حكام الغساسنة لم يكونوا يملكون القرار في التصرف حيال ما كان يحدث ببلاد العرب . أما إسلام جبلة بن الأيهم فحقيقة ثابتة ، وكذلك ارتداده عن الإسلام ، ولعله أسلم بعد أن شعر أن دولة الروم أصبحت غير قادرة على مواجهة القوة الإسلامية الناشئة .

رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري برسالتين إلى النجاشي ملك الحبشة يدعوه في إحداهما إلى الإسلام؛ وقد كانت استجابة النجاشي لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم قد حدثت قبل ذلك وجاء ذكرها فيما ورد من أخبار المسلمين المهاجرين إلى الحبشة ، فقد رأينا من قبل أنه نتيجة للحوار الذي دار بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي حول عيسى ابن مريم وأمه ، أعلن النجاشي إسلامه . ولكن يبدو أنه كان يخفي هذا الأمر خوفًا على نفسه من الأحباش وبخاصة رجال الدين ، تمامًا كما كان هرقل يخشى الروم على نفسه .

مهما يكن من أمر فان هناك رواية أخرى تقول إن النجاشي الذي كتب إليه رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليس بالنجاشي الذي صلى عليه . وقد ذُكر أن وفاة هذا الأخير كانت في رجب سنة تسع من الهجرة[٩٩] .

وإذا أخذنا في الاعتبار أن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم للنجاشي كانت في السنة السادسة للهجرة - أي في سنة هدنة الحديبية حيث توافق ذلك أيضًا مع عودة المهاجرين من الحبشة في مطلع سنة سبع من الهجرة - فلابد أن يكون هذا النجاشي الذي تلقى الكتاب هو نفس النجاشي الذي قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى عليه عند وفاته سنة تسع للهجرة؛ ومما يقوي هذا الاعتقاد ما ذُكر من أن عمرو بن العاص ، وكان صديقًا للنجاشي ، قد عزم على ترك مكة والهجرة إلى الحبشة للإقامة في جوار النجاشي . وقد تصادف وجوده هناك مع حضور عمرو بن أمية الضمري الذي حمل كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، وقد طلب عمرو بن العاص من النجاشي أن يسلمه عمرو الضمري ليقتله ، ولكن النجاشي ضربه على وجهه حتى أسال دمه؛ فعلم عمرو بإسلام النجاشي الذي نصحه أن يسلم فأسلم على يدي النجاشي ثم عاد إلى بلاده حيث توجه إلى المدينة فأعلن إسلامه وانضم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[١٠٠] .

وخلاصة القول ، إننا إذا تتبعنا أخبار هجرة المسلمين إلى الحبشة منذ بدايتها نستطيع أن نقول إن النجاشي الذي رحَّب بالمسلمين وآواهم في بلاده والنجاشي الذي تلقى كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ست للهجرة ، فأسلم ، والنجاشي الذي توفي مسلمًا سنة تسع للهجرة ماهو إلا شخص واحد ، حيث إنه لم يرد في هذه الأخبار أن نجاشي الحبشة قد توفي وحلَّ محله آخر .

أما الرسالة الثانية التي حملها عمرو بن أمية الضمري للنجاشي فقد كانت تتعلق بموضوعين ، أولهما أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان التي كانت قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فتنصَّر ومات هناك بالحبشة؛ وثانيهما أن يعمل النجاشي على إرسال من كان ببلاده من المسلمين المهاجرين ، لأنه لم تعد هناك حاجة لبقائهم بعد أن تمت الهدنة مع قريش في الحديبية .

وإنْ كان لنا من تعليق على موقف الحبشة وحاكمها في ذلك الوقت تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ، فإننا نستطيع أن نقول إنه موقف إيجابيٌّ إلى حد بعيد . وفي موقف مثل هذا لا يتوقع الإنسان أن تكون بلاد الحبشة في عهد هذا النجاشي على علاقة حسنة بالدّولة البيزنطية . فعلى أقل تقدير لم نسمع عن أي محاولة من قبَل إمبراطور الروم لاستخدام الحبشة للقضاء على الأمة الإسلامية ، كما فعلت من قبل عندما تَعرض النصارى في اليمن للاضطهاد

من قبل ذي نواس - ملك حمْيَر - ، فأوعزت دولة الروم للأحباش بمساعدة النصارى هناك فحدث الغزو الحبشي لبلاد اليمن ومن ثم جرت محاولتهم لهدم الكعبة الشريفة[١٠١]، ولم يكن هذا الحدث بالتاريخ البعيد عن الأحداث التي نحن بصددها .

المواجهة الحربية

كانت المرحلة التي تلت بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسائله إلى الزعماء والملوك هي مرحلة المواجهة ، حتى يتبع القول بالفعل . لقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوثيه يحملون رسائله إلى حاكمي أكبر دولتين عرفهما التاريخ في ذلك الوقت ، هما دولة الروم البيزنطيين ، ودولة الفرس ، وإلى من يوالونهم من كبار الزعماء العرب ، يدعوهم جميعا إلى الإسلام ، ويحذرهم الرفض . حدث هذا في مطلع العام السابع للهجرة ، والأمة الإسلامية لم تتجاوز سيادتها حدود المدينة المنورة . وهنا تكمن عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم . فكثير من المسلمين ، ناهيك عن الكفار ، كانوا يرون أن مقارعة الروم والفرس شيء محال وبعيد المنال .

ولكن لم يمض وقت طويل على ذلك حتى بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في إرسال البعوث الحربية لتلك البلاد التي سبقت إليها رسائله ، خاصة بلاد الشام . ففي جمادى الأولى سنة (٨)هـ أرسل سرية بقيادة زيد بن حارثة إلى مؤتة ، ومعه ثلاثة آلاف من المسلمين . وعلى الرغم من أن الأعداد التي ذكرت للروم وحلفائهم من العرب مبالغ فيها ، إلا أن أعدادهم كانت في الغالب تفوق أعداد المسلمين كثيراً[١٠٢]، مما جعل الأخيرين يفكرون في البداية في طلب الإمدادات من الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكنهم أخيراً تشجعوا والتحموا بأعدائهم ، فاستشهد قادتهم الثلاثة الذين سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم (زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن رواحة) مما اضطر الجيش للانسحاب إلى المدينة .

لاشك أن سرية مؤتة ، رغم أن المسلمين لم يتمكنوا فيها من تحقيق نصر على أعدائهم ، قد حققت هدفها بإظهار مصداقية الرسول صلى الله عليه وسلم وفق ما جاء في رسائله . وكانت هذه السرية بمثابة إنذار للروم وحلفائهم من العرب أن الأمة الإسلامية جادة في تحقيق أهدافها[١٠٣].

غزوة تبوك

في رجب سنة (٩)هـ بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يستعد لغزو الروم من جديد . فدعا المسلمين للخروج وقاد الجيش بنفسه ، وكان أكبر جيش يخرج تحت قيادة الرسول صلى الله عليه

وسلم منذ أن نشأت الأمة الإسلامية ، إذ بلغ عدد المقاتلين فيه ثلاثين ألفًا .

الحقيقة ، أنه ليس واضحًا تمامًا ماهو موقف الروم من هذا الجيش الضخم الذي وصل إلى مشارف البلاد التي يسيطرون عليها في الشام . وكما رأينا مما ذكر آنفا أن هرقل إمبراطور الروم ، بعد أن يئس من إقناع كبار رجال الدين في دولته بالوصول إلى حل بشأن الرسالة التي وصلته من الرسول صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى القسطنطينية . ومع أننا لا نعرف بالضبط التاريخ الذي غادر فيه هرقل الشام ، إلا أن وصول جيش كبير للمسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، لاشك قد أثار الخوف والهلع في نفوس الكثيرين من سكان هذه البلاد ، وبخاصة المجاورة لتبوك . وليس أدل على ذلك من قبول أهالي بعض القرى المطلة على ساحل البحر الأحمر ، ومعظمهم من اليهود والنصارى ، للصلح مع الرسول صلى الله عليه وسلم[١٠٤] .

كان من الذين حضروا للرسول صلى الله عليه وسلم يوحنه بن رؤبة صاحب أيلة الذي خاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم . وكانت أيلة مدينة غنية على ساحل البحر الأحمر قليلة الزراعة وغالبية سكانها من اليهود الذي يعملون في صيد السمك ، ولكنها كانت رغم غلبة العنصر اليهودي عليها، مركزًا مسيحيًا هامًا ، وكان حاكمها يوحنه بن رؤبة أسقفًا نصرانيًا[١٠٥] .

حضر مع يوحنه أيضا أهالي جرباء واذرح وبعض أهالي الشام وأهالي اليمن الذين كانوا يقيمون في هذه القرى ، فصالحهم على أن يدفعوا له الجزية ، وكان مقدارها على أهل أيلة ثلثمائة دينار في السنة ، وعلى أهل جرباء وأذرح مائة دينار[١٠٦] .

من الواضح أن أهالي هذه القرى وجدوا أن مصلحتهم تقتضي مهادنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والوصول معه إلى اتفاق بعد أن لمسوا هذه القوة الإسلامية المتنامية . ولعلهم أحسوا من جهة أخرى أن الروم لم يعودوا قادرين على حمايتهم أو حماية الشام من هذا المد الإسلامي القادم ، فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يمكث في نواحي تبوك بضع عشرة ليلة دون أن تعترضه أي قوة من الروم أو حلفائهم من العرب[١٠٧] .

سريــة دومــة الجنــدل

عند وصوله إلى تبوك بعث الرسول صلى الله عليه وسلم من هناك خالد بن الوليد إلى دومة الجندل[١٠٨] التي كان يحكمها أكيدر بن عبد الملك ، وهو رجل نصرانيٌ من كندة . وقد استطاع خالد بن الوليد أن يقبض على أكيدر ويحضره إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي حقن

دمه بعد أن أعلن إسلامه[١٠٩] ، ثم أرجعه إلى بلاده . ولا تخفى أهمية دومة الجندل التي تقع على الطريق التجاري الذي يربط العراق بالشام ، وكانت هي نفسها سوقًا هامة للقبائل العربية في تلك النواحي .

الخــاتمـــة

ذكرنا في مقدمة بحثنا هذا أننا سنتناول بالدراسة النصوص التي وردت في كتاب السيرة النبوية لابن هشام عن موقف النصارى من نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته . وقد كان اختيارنا للنصوص الواردة في سيرة ابن هشام نظرًا إلى أن هذه السيرة تنسب إلى محمد ابن إسحاق المتوفى سنة (١٥١)هـ ، فهي بذلك أقدم ما وصلنا عن تاريخ تلك الفترة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعلى الرغم من أن البحث جعل من نصوص سيرة ابن هشام المرتكز الأساسي للدراسة ، إلا أنه كان من الضروري ، عند تحليل هذه النصوص ، مقارنتها ببعض ما ورد حول نفس الموضوع في كتب السيرة الأخرى . ومن هذا المنطلق ، فإن أول نتيجة توصلنا إليها هي التباين الكبير في الروايات المختلفة التي وردت في هذه النصوص ، والتي تعكس بعض المبالغات في أقوال وأفعال إمبراطور الروم - هرقل - عند تلقيه كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما فيما يتعلق بالموضوعات الخمسة التي حددناها لدراسة النصوص ، فقد كشفت لنا نصوص القسم الأول منها أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يكن لديهم شك في أن نبيًا سيبعث ؛ وكان كل منهما يعتقد أن هذا النبي سيكون منه . وكانت مفاجأة لهم أن يكون هذا النبي من العرب ؛ ورغم اقتناع الكثيرين منهم بصحة رسالته ، إلا أن الحسد منعهم من التصديق به .

أما فيما يتعلق بنصوص القسم الثاني فقد اتضح لنا من خلالها أن بلاد الحبشة ، ولحسن حظ المسلمين ، كان يحكمها في ذلك الوقت حاكم عادل واسع الأفق ، منعه عدله وسعة أفقه من طرد المسلمين الذين لجأوا إلى بلاده أو الإساءة إليهم مسطرًا بذلك موقفًا إيجابيًا من دولة نصرانية كانت على الدوام ترتبط بدولة الروم البيزنطيين بعلاقات هي أقرب إلى التبعية .

ليس هذا فحسب ، بل إن النجاشي - حاكم الحبشة - اعتنق الإسلام ، مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو المسلمين لأداء صلاة الغائب عليه عند وفاته سنة (٩)هـ . وليس هناك ما يدعونا للتشكيك في إسلام النجاشي . أما ما حدث في الحبشة بعد وفاة هذا النجاشي واعتلاء عرشها آخر معاد للمسلمين ، فلم يعد أمرًا هامًا بالنسبة للأمة الإسلامية ، لأنها في

ذلك الوقت كانت قد وقفت على أرجلها ووحدت القبائل العربية تحت رايتها وبدأت جيوشها تطرق أبواب الشام .

ومن نصوص القسم الثالث التي تتحدث عن قدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم نخلص إلى أنه قد تم في هذا اللقاء حسم قضيتين هامتين : القضية الأولى كانت تتعلق بالاعتقادات والأفكار الخاطئة التي يتبناها النصارى حول المسيح عليه السلام وأمه . وقد جاء الرد على ذلك فيما نزل من القرآن الكريم من حقائق علميّة توضح حقيقة عيسى عليه السلام وأمه مريم؛ ثم ختم ذلك بالتحدي الكبير عندما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو هؤلاء النصارى إلى الملاعنة إن هم أصروا على موقفهم ، فكانت النتيجة أنهم رفضوا ملاعنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فحسمت بذلك هذه القضية وأصبح إباؤهم الملاعنة دليلاً ضدهم ونصرًا كبيرًا للإسلام سيظل باقيًا على مر العصور .

أما القضية الثانية التي تم حسمها فكانت تتعلق بطبيعة علاقتهم بالأمة الإسلامية . وقد تم الاتفاق بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبينهم على أن يدفعوا له الجزية في مقابل منحهم الحرية الدينية والأمن والأمان لهم ولممتلكاتهم ومعابدهم .

أما نصوص القسم الرابع فنتوصل من خلالها إلى حقيقة هامة ، وهي أنه بقدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة ولقائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وحضور يهود المدينة لهذا اللقاء ، فإنه قد جرى أول حوار عرفه التاريخ بين أصحاب هذه الديانات الثلاث ، الإسلام واليهودية والنصرانية .

ولاشك أن هذا اللقاء قد أكد حقيقة هامة ، وهي أن الإسلام لا ينكر أيا من رسالات الأنبياء ولا يطعن في أي من الرسل والأنبياء كما يفعل اليهود والنصارى الذين يطعنون في بعضهم بعضًا .

أما النصوص التي يضمها القسم الخامس فنستطيع أن نستخلص منها الكثير من النتائج الهامة . فالرسائل التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والحكام كانت بمثابة الإنذارات لبداية مرحلة جديدة في العلاقات بين الأمة الإسلامية وجيرانها من القوى النصرانية ، وهي مرحلة المواجهة العسكرية . وقد خرجت رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة وهي تحمل هذه الإنذارات في وقت كانت فيه الأمة الإسلامية لم تخرج حدودها بعد عن نطاق المدينة .

وإذا كان هناك من سخر من مخاطبة أمة ناشئة لأكبر قوتين عسكريتين وسياسيتين عرفتا آنذاك (الروم والفرس) فإن الوقت لم يطل لتتحول هذه السخرية إلى دهشة تعقد ألسنة أعداء

الإسلام عندما بدأت الجيوش الإسلامية تجتاح وتفتح البلاد التي وصلتها رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم قبل سنوات قلائل .

وختامًا ، فمن الممكن القول إن موقف النصارى من نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته كان بصفة عامة موقفًا معتدلاً ، سواء تمثل ذلك في موقف النجاشي من المسلمين المهاجرين إلى بلاده ، أو في موقف قيصر الروم الذي لم يكن بأي حال من الأحوال موقفًا عدائيًا تجاه مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم (كما كان الحال بالنسبة لكسرى فارس مثلا) ، أو في موقف المقوقس حاكم مصر ، الذي أحسن استقبال مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم وبعث إليه معه بالهدايا . هذا بالإضافة إلى مجموعات النصارى المتفرقة في نجران وأيلة ودومة الجندل والتي استسلمت للأمة الإسلامية دون مقاومة أو قتال .

الهوامش

(١) **القرآن الكريم** : سورة المائدة ، الآية ٨٢ .

(٢) هذه هي التسمية التي أطلقها القرآن الكريم على الذين كانوا يعتقدون أنهم يتبعون المسيحية وتعاليم المسيح ، وهي قد دخلها الكثير من التحريف وبخاصة على يد بعض اليهود .

انظر : **المصري ، جميل عبدالله** : *أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري* ، الطبعة الأولى ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، ص ص ٣٤-٣٦ .

(٣) **ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك** ، « *السيرة النبوية* » ، الطبعة الثالثة ، أربعة أجزاء ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، الجزء الأول ، ص ص ٢٣٨-٢٤٠ ؛ الجزء الثاني ، ص ٧٧ .

السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، « *وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى* » ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، جزءان في مجلد واحد ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، الجزء الأول ، ص ص ١٦٠-١٦١ .

إلى جانب هذا فإن هجرة اليهود إلى الحجاز كان من أسبابها أيضًا ما لا قوه من اضطهاد على يد الرومان في بلاد الشام ، انظر **المصري** ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠-٣١ .

(٤) **المصري** ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

Hitti, P.K., "*Syria : A Short History*", London, Macmillan and Co. Ltd. (1959), pp. 106-107.

Glubb, Sir John Bagot, "*The Great Arab Conquests*", London, Hodder and Stoughton (1963), p. 25 f.

(٥) **Glubb,** *op. cit.*, p. 25.

(٦) انظر **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٢١٥ .

(٧) سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

(٨) **عمورية** ، بلد في بلاد الروم ... وهي التي فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣هـ . (**ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله** ، « معجم البلدان » ، خمسة أجزاء ، بيروت ، دار صادر (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، الجزء الرابع ، ص ١٥٨ ».

(٩) نصيبين : بالفتح ، ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح ، مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام .
(انظر : **ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص ٢٨٨) .

(١٠) عذق : يعني النخلة عند أهل الحجاز ؛ انظر **ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم** ، « لسان العرب » ، خمسة عشر جزءاً ، بيروت ، دار صادر (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، الجزء العاشر ، ص ٢٣٨ .

(١١) بنو قيلة هم الأوس والخزرج ، وقيل إنها أمهم نسبوا إليها ، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن عضاعة (**ابن هشام** ، السيرة النبوية ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٤٦) .

(١٢) بقيع الغرقد : أصل البقيع في اللغة : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، وبه سمي بقيع الغرقد ... وهو مقبرة أهل المدينة ، وهي داخل المدينة . (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٤٧٣) .

(١٣) **القرآن الكريم** : سورة البقرة ، الآية ١٤٦ ؛ سورة المائدة ، الآية ٨٣ ؛ سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ ؛ سورة الإسراء ، الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ ؛ سورة القصص ، الآيتان ٥٢ ، ٥٣ ؛ سورة الصف ، الآية ٦ .

(١٤) **ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل** ، « *السيرة النبوية* » ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، أربعة أجزاء ، القاهرة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ، الجزء الأول ، ص ص ٣٢٩-٣٣٠ .

(١٥) مر الظهران ، ويقال مر ظهران : موضع على مرحلة من مكة . وقيل مر القرية ، والظهران هو الوادي ؛ وبمر عيون كثيرة ونخل وجميز . (انظر **ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص ١٠٤) .

(١٦) **ابن كثير** ، *السيرة* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٢٢ .

(١٧) **أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني** ، « *دلائل النبوة* » ، جزء واحد ، (دون مكان نشر أو ناشر) (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ص ص ١٢٤-١٢٩ .

(١٨) **أبو نعيم** ، *دلائل النبوة* ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٩-١٣١ .

(١٩) **البيهقي ، أبوبكر أحمد بن الحسين** ، « *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة* » ، وثق أصوله وخرّج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطى قلعجي ، الطبعة الأولى ، سبعة أجزاء ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، الجزء الثاني ، ص ص ٢٤-٢٩ .

(٢٠) **ابن سيد الناس ، الحافظ أبو الفتح محمد** ، « *عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير* » ، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحي الدين متو ، الطبعة الأولى ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ؛ بيروت/ دمشق ، دار ابن كثير ، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، الجزء الأول ، ص ص ١٠٥-١٠٧ وص ١٠٨ .

(٢١) **ابن كثير** ، *السيرة* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ص ٢٤٦-٢٤٨ .

(٢٢) **الصالحي ، الإمام محمد بن يوسف** ، « *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد* » ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود/ الشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، اثنا عشر جزءاً ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، الجزء الثاني ، ص ١٤١ ، ١٤٤ .

(٢٣) **الصالحي** ، *سبل الهدى والرشاد* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ١٤٤ .

القسطلاني ، أحمد بن محمد ، « *المواهب اللدنية بالمنح المحمدية* » ، تحقيق صالح أحمد الشامي ، الطبعة الأولى ، أربعة أجزاء ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، الجزء الأول ، ص ١٨٩ .

(٢٤) تقول بعض الروايات إن عمره صلى الله عليه وسلم كان وقتذاك تسع سنين (**ابن سيد الناس**، *عيون الأثر*، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٠٥) وتميل غالبية الروايات إلى جعل سنه اثنى عشر سنة (**ابن سعد، أبو عبد الله محمد**، «*كتاب الطبقات الكبرى*»، ثمانية أجزاء، بيروت، دار صادر (١٩٦٠م)، الجزء الأول، ص ١٢١؛ **الصالحي**، *سبل الهدى والرشاد*، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٤٠).

(٢٥) **أبو شهبة، محمد بن محمد**، «*السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*»، الطبعة الأولى، جزءان، دمشق، دار القلم (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، الجزء الأول، ص ٢١٢.

(٢٦) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وعمره خمس وعشرين سنة وهي بنت أربعين سنة. (انظر: **ابن سعد**، *الطبقات*، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ص ١٦-١٨).

(٢٧) **ابن هشام**، *السيرة*، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٢٥٣.

(٢٨) **السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله**، «*الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام*»، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرءوف سعد، الجزء الأول فقط، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (دون مكان نشر أو تاريخ)، الجزء الأول، ص ٢٥٥.

(٢٩) **ابن كثير**، *السيرة*، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٣٠) **ابن كثير**، *السيرة*، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٥٦.

(٣١) انظر: **ابن سعد**، *الطبقات*، مرجع سابق، الجزء الثالث، ٨٩؛ **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين**، «*مروج الذهب ومعادن الجوهر*»، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، أربعة أجزاء، صيدا/ بيروت، المكتبة المصرية، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، الجزء الأول، ص ص ٧٤-٧٥.

(٣٢) **أبو شهبة**، *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٧٩.

(٣٣) **القرآن الكريم**، سورة النحل، الآية ١٠٣.

(٣٤) الأدم: جمع أديم، والأديم الجلد، وقيل الأحمر، وقيل هو المدبوغ، ابن منظور: (لسان العرب، مرجع سابق، الجزء الثاني عشر، ص ٩).

(٣٥) أول سورة مريم.

(٣٦) سورة القصص، الآيات ٥٢-٥٥.

(٣٧) **عابدين، عبد المجيد**، «*بين الحبشة والعرب*»، القاهرة، دار الفكر العربي، (دون تاريخ)، ص ٢.

(٣٨) يقول جواد علي (**علي، جواد**، «*المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*»، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلم للملايين؛ بغداد، مكتبة النهضة، (١٩٦٩م)، الجزء الثالث، ص ص ٤٥١-٤٥٢) يقول: «يظن أن مملكة أكسوم التي ظهرت في أوائل النصرانية قد كانت دولة أقامها العرب الجنوبيون في تلك البلاد وقد كان ملوك أكسوم وثنيين بقوا على وثنيتهم إلى القرن الرابع أو مابعد ذلك للميلاد. ويظن أن الملك عزانا، وهو ابن الملك إيلا عميدا **Ella Amida** وهو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة، وذلك لعثور الباحثين على آثار تعود إلى عصره ترينا القديمة منها أنه كان وثنيًا وترينا الحديثة منها أنه كان نصرانيًا».

(٣٩) انظر: **ابن هاشم**، *السيرة النبوية*، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ص ٥٠-٩٢؛ **جواد علي**، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٤٥٧.

Encyclopaedia of Islam: Article "*Habshat*", edited by **B. Lewis and others**, New Ed., Leiden/ London, E.J. Brill and Luzac Co. (1971), Vol. III, pp. 9-10.

(٤٠) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٤٩ .

(٤١) **المصري** ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٤٢) سورة المائدة ، الآية ٨٢ .

(٤٣) **المصري** ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

(٤٤) **قاسم ، عون الشريف** ، « *نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم* » ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، (١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ٩٨ .

(٤٥) **الصعيدي ، عبد المتعال** ، « *السياسة الإسلامية في عهد النبوة* » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الفكر العربي (دون تاريخ) ، ص ١٥١ .

(٤٦) **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير** ، « *تاريخ الرسل والملوك* » ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، عشرة أجزاء ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ، الجزء الثاني ، ص ٣٢٨ .

(٤٧) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ص ٣٥٩-٣٦١ .

(٤٨) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٦٣ .

(٤٩) **البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر** ، « *أنساب الأشراف* » ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ، الجزء الأول فقط ، (١٩٥٩م) ، الجزء الأول ، ص ٢٢٩ .

(٥٠) **البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم** ، « *صحيح البخاري* » ، ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات ، استانبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، (دون تاريخ) ، الجزء الثالث ، ص ١٢٢ ؛ **ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل** ، « *البداية والنهاية في التاريخ* » ، الطبعة الأولى ، أربعة عشر جزءاً في سبعة مجلدات ، بيروت ، مكتبة المعارف/ الرياض ، مكتبة النصر ، (١٩٦٦م) ، الجزء الثالث ، ص ٧٧ .

(٥١) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٤٢ .

(٥٢) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٤٢ .

(٥٣) الحَبَـرَة : ضرب من برود اليمن منمر ، والجمع حِبَرٌ وحِبَرَات ؛ **ابن منظور** ، *لسان العرب* ، مرجع سابق ، الجَزء الرابع ، ص ١٥٩ .

(٥٤) سورة مريم ، الآية ٢١ .

(٥٥) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٢٠٣ .

(٥٦) المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص ٢١٥ ؛ انظر : **المصري** ، مرجع سابق ، ص ص ٤١-٤٢

(٥٧) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٢٢٦ .

(٥٨) **ابن شبة ، أبو زيد عمر** ، « *كتاب تاريخ المدينة المنورة* » ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، أربعة أجزاء ، جدة ، دار الأصفهاني للطباعة ، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، الجزء الثاني ، ص ص ٥٨٠-٥٨٦ ؛ **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٥٨ .

(٥٩) سورة البقرة ، الآية ١١٣ .

(٦٠) سورة البقرة ، الآية ١١٨

(٦١) سورة البقرة ، الآية ١٣٥ .

(٦٢) سورة البقرة ، الآية ١٤١ .

(٦٣) سورة آل عمران ، الآيات ٦٥-٦٨ .

(٦٤) سورة آل عمران ، الآيتين ٧٩ ، ٨٠ .

(٦٥) سورة البقرة ، الآية ١٣٦ .

(٦٦) سورة المائدة ، الآية ٥٩ .

(٦٧) **المصري** ، مرجع سابق ، ص ص ٨٧-٨٩

(٦٨) كان أبو عامر ، عبد عمرو بن صيفي ، أحد بني عمرو بن عوف من الأوس ، وبسبب ميوله للنصرانية وذهابه كثيراً إلى الشام واتصاله بالرهبان سمي بالراهب . ويبدو أنه علم من النصارى بأمر ظهور نبي ، وكان يمني نفسه بذلك ، أي أن تأتيه الرسالة . وعندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة ذهب إليه أبو عامر وسأله عما جاء به ، ولكنه لم يقتنع بما أخبره به الرسول صلى الله عليه وسلم وادعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء في الحنيفية بأشياء ، لم تكن فيها . ومنذ ذلك الوقت أصبح أبو عامر مباعداً للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إنه قام بالكثير من الأعمال العدائية ضد الأمة الإسلامية بتحريضه لبعض من تبعه على رأيه من قومه الأوس ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم الفاسق بدلاً عن الراهب . (انظر : **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ **البلاذري** ، *أنساب* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ص ٢٨١-٢٨٢) .

(٦٩) **المصري** ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

(٧٠) معان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص ١٥٣) .

(٧١) مآب : وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص ٣١) .

(٧٢) مشارف : جمع مشرف : قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من أعمال دمشق ... وقد جعلها ابن إسحاق في حديثه عن مؤتة قرية بعينها (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص ١٣١) .

(٧٣) سورة التوبة ، الآية ٦٥ .

(٧٤) أيلة : بالفتح ، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل هي آخر الحجاز ، وأول الشام ، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير ، وبها (أي أيلة) في يد اليهود عهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم . (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٩٢) .

(٧٥) جرباء : موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ١١٨) ؛ وأذرح : بالفتح ثم السكون وضم الواو والحاء المهملة : اسم بلد في أطراف الشام من أعمال السراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز ، وهي قريبة من الجرباء (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ١٢٩) .

(٧٦) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٢٥٣ .

(٧٧) « بنو الأصفر هم الروم ، قيل : سموا بذلك باسم جدهم الأصفر بن روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، قاله الحربي ، وقيل : بل لأن جيشًا من الحبشة غلب عليهم فوطئ نساءهم فولد لهم أولاد صفر فنسبوا إليهم ، قاله الأنباري ، والأول أشبه » أورد هذه الرواية الأنصاري (**أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة** ، « *المصباح المضئ في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي* » ، الطبعة الأولى ، جزءان في مجلد واحد ، بيروت ، دار الندوة الجديدة ، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص ٢٤٧) . أما بالنسبة للرواية الأولى ، فقد أورد ابن منظور ، (*لسان العرب* ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٤٦٥) أيضًا حديثا نسبه إلى ابن عباس جاء فيه : « اغزو تغنموا بنات الأصفر ، قال ابن الأثير : يعني الروم ».

(٧٨) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ١٦٥ ؛ **الطبري** ، *تاريخ الرسل* ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٠٨ .

(٧٩) وفق الرواية التي أوردها ابن سعد (الطبقات ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٥٩) فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر دحية أن يدفع كتابه إلى عظيم بصرى ليدفعه بدوره إلى قيصر ، فدفعه عظيم بصرى إليه وهو يومئذ بحمص ، وكان يسير في طريقه إلى بيت المقدس حافي القدمين وفاءً لنذره إن انتصر على الفرس .

(٨٠) **الطبري** ، *تاريخ الرسل* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٤٤-٦٤٩ ؛ انظر أيضًا : **ابن الجوزي ، أبوالفرج عبد الرحمن** ، « *الوفا بأحوال المصطفى* » ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الأولى ، جزءان ، القاهرة ، مطبعة السعادة (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ، الجزء الثاني ، ص ص ٧٢٠-٧٢٧ ؛ **الصعيدي** ، مرجع سابق ، ص ص ١٥١-١٥٥ ؛ **حميد الله ، محمد** ، « *مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة* » ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ، ص ص ٨٠-٨٦ .

(٨١) يشير القرآن الكريم في سورة الروم لما حدث بين البيزنطيين والفرس ؛ وقد ذكر **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير** ، « *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* » ، ثلاثون جزءًا ، القاهرة ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، الجزء الواحد والعشرون ، ص ص ١٦-١٨ ، إن فارس كانت قد غلبت الروم . ثم جاء الروم فتغلبوا عليهم ، وقد حدث هذا في عهد هرقل ، وما مجيئه بيت المقدس إلا لهذا السبب ، أي لأداء صلاة الشكر . وقد ذكر أن المسلمين فرحوا يومئذ لانتصار الروم ، لأنهم أهل كتاب سماوي ، على الفرس المشركين وفي هذا دليل لايقبل الشك في تعاطف المسلمين مع النصارى ؛ انظر أيضًا **الطبري** ، *تاريخ الرسل* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ص١٨٤-١٨٥ . (انظر أيضًا **الصعيدي** ، مرجع سابق ، ص ١٥٣) .

(٨٢) بصرى : موضع بالشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديمًا وحديثًا . (**ياقوت** ، معجم *البلدان* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٤٤١) .

(٨٣) **الطبري** ، *تاريخ الرسل* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٤٨-٦٥٢ .

(٨٤) وفي رواية أخرى : فإن عليك إثم الأريسين ، والأريس : من أَرَسَ يَأرِسُ أرسًا إذا صار أريسًا ، وأرّسَ يؤرّس تأريسًا إذا صار اكّارًا ...، وقيل : إنما قال (الرسول صلى الله عليه وسلم) ذلك لأن الأكّارين كانوا عندهم من الفرس وهم عبدة النار وكان أهل السواد ، ومن هم على دين كسرى أهل فلاحة وإثارة

للأرض ، وكان أهل الروم أهل أثاث وصنعة ، فكانوا يقولون للمجوس أريسي ، نسبوهم إلى الأريس وهو الأكّار ، وكانت العرب تسميهم الفلاحين (**ابن منظور** ، *لسان العرب* ، مرجع سابق ، الجزء السادس ، ص ص ٤-٥) .

(٨٥) انظر : **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٧٦ ؛ وقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى ضغاطر رسالة مع دحية .

(٨٦) **الطبري** ، *تاريخ الرسل* ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٥٠-٦٥٢ .

(٨٧) **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٠-٢٦٤ .

(٨٨) **القرآن الكريم** ، سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

(٨٩) عظيم بصرى هو حاكم بصرى الغساني من قبل الروم .

(٩٠) **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

(٩١) **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

(٩٢) **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦ .

(٩٣) **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

(٩٤) **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨ .

(٩٥) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦٠ ؛ **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ ؛ **الصعيدي** ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ ؛ قدم الأستاذ عون الشريف (مرجع سابق ، ص ص ٩٩-١٠٦) ، عرضًا جيدًا للنصوص المختلفة التي وردت في المصادر عن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم للمقوقس ، وأوضح آراء الباحثين حولها ؛ وخلص من ذلك إلى أن الشكوك والاختلافات حول هذه الرسالة ، لا تعني رفضه رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم للمقوقس كحادثة تاريخية .

(٩٦) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦١ .

(٩٧) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦٥ .

(٩٨) يقال إن جبلة كان يسير يومًا في أحد الأسواق فداست رجله على بدوي من مزينة ، فلطم المزني جبلة ولم يدر من هو : فأخذ المزني وجيئ به إلى عامل الشام آنذاك أبي عبيدة بن الجراح وقيل له إن هذا لطم جبلة ، فقال أبو عبيدة فليلطمه جبلة ، ولكن جبلة قال إنه لا يساوي وجهه بوجه أعرابي جاء من عمق ، وأن هذا دين حري ألا يتبع ، فارتد وخرج بقومه إلى بلاد الروم . (انظر : **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦٥) .

(٩٩) **الأنصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٠-٢٢١ .

(١٠٠) **النصاري** ، *المصباح المضيء* ، مرجع سابق ، ص ص ٢٣٥-٢٣٧ .

(١٠١) **القرآن الكريم** ، سورة الفيل ؛ **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ص٦٧-٦٩ ؛ **جواد علي** ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ص ٥٠٧-٥٢١ .

(١٠٢) **الفيصل** ، **شكري** ، « *حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية* » ، مطابع دار العربي بمصر ، (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) ، ص ١١ ؛ **المصري** ، مرجع سابق ،

ص ١٤٥ .

(١٠٣) في حديثه عن علاقة الأمة الإسلامية بالقبائل العربية في الشام ، ينفي واط [Watt, W.M., "*Muhammad at Madina*", 2nd ed., Oxford, Clarendon Press, (1966), pp. 105-117] ، أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم على علم بدخول المسلمين إلى بلاد الشام وامتلاكهم لها بعد طرد البيزنطيين منها واعتبر أن هذا مجرد بعد نظر . ولكن واط تجاهل حقيقة هامة ، وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد تنبأ بفتح الشام وبلاد فارس وغيرها من البلاد في السنة الخامسة للهجرة ، يوم أن كان المسلمون يحفرون الخندق لصد قريش والأحزاب ؛ وليس أدل على أن ما قاله لم يكن عبثًا ، أن نبوءته تحققت بالكامل وفي خلال سنوات تعد على أصابع اليد .

(١٠٤) **قاسم** ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(١٠٥) يفهم المرء من الرواية التي ذكرها محمد بن سعد (الطبقات ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٩٠) وكأنما حضر يحنة بن رؤبة إلى المدينة ، فقد ذكر في هذه الرواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بإنزاله عند بلال . ولكن الراجح أن لقاء يحنة بالرسول صلى الله عليه وسلم تم بنواحي تبوك .

(١٠٦) **الواقدي ، محمد بن عمر** ، «*كتاب المغازي*» ، تحقيق مارسدن جونز ، اكسفورد ، (١٩٦٦) ، الجزء الثالث ، ص ١٠٣١ ؛ **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٩٠ ؛ **المصري** ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

(١٠٧) **خليل ، عماد الدين** ، «*تحليل للتاريخ الإسلامي ، إطار عام*» ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، دار الثقافة ، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص ٦٨ .

(١٠٨) دومة الجندل : وهي على سبع مراحل من دمشق ، بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ... وعليها سور يتحصن به ، وفي داخل السور حصن منيع يقال لي مارد ، وهو حصن أكيدر بن عبد الملك (**ياقوت** ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٤٨٧) .

(١٠٩) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٨٩-٢٨٨ ؛ **المصري** ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

المراجع

(١) **المراجع العربية :**

القرآن الكريم .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن ، (ت ٥٩٧هـ) ، «*الوفا بأحوال المصطفى*» ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الأولى ، جزءان ، القاهرة ، مطبعة السعادة (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) .

ابن سعد ، أبو عبد الله محمد ، (ت ٢٣٠هـ) ، «*كتاب الطبقات الكبرى*» ، ثمانية أجزاء ، بيروت ، دار صادر (١٩٦٠) .

ابن سيد الناس ، الحافظ أبو الفتح محمد ، (ت ٧٣٤هـ) ، «*عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير*» ، تحقيق محمد العيسى الخطراوي ومحي الدين متو ، الطبعة الأولى ، المدينة ، مكتبة دار التراث ؛ بيروت/ دمشق ، دار ابن كثير (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

ابن شبة ، أبو زيد عمر ، (ت ٢٦٢هـ) ، « *كتاب تاريخ المدينة المنورة* » ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، أربعة أجزاء ، جدة ، دار الأصفهاني للطباعة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ، (ت ٧٧٤هـ) ، « *السيرة النبوية* » ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، أربعة أجزاء ، القاهرة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) .

ــــــــ ، « *البداية والنهاية في التاريخ* » ، الطبعة الأولى ، أربعة عشر جزءاً في سبعة مجلدات ، بيروت ، مكتبة المعارف ، الرياض ، مكتبة النصر (١٩٦٦م) .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ، (ت ٧١١هـ) ، « *لسان العرب* » ، خمسة عشر جزءاً ، بيروت ، دار صادر (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ، (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ) ، « *السيرة النبوية* » ، الطبعة الثالثة ، أربعة أجزاء ، بيروت ، دار الكتاب العربي (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

أبو شهبة ، محمد بن محمد ، « *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة* » ، الطبعة الأولى ، جزءان ، دمشق ، دار القلم (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) .

أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، (ت ٤٣٠هـ) ، « *دلائل النبوة* » ، جزء واحد ، (دون مكان نشر أو ناشر) (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

الأنصاري ، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة ، (ت ٧٨٣هـ) ، « *المصباح المضيئ في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي* » ، الطبعة الأولى ، جزءان في مجلد ، بيروت ، دار الندوة الجديدة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، (ت ٢٥٦هـ) ، « *صحيح البخاري* » ، ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات ، استانبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع (دون تاريخ) .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، (ت ٢٧٩هـ) ، « *أنساب الأشراف* » ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ، الجزء الأول (١٩٥٩م) .

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، (ت ٤٥٨هـ) ، « *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة* » ، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، سبعة أجزاء ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

حميد الله ، محمد ، « *مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي الخلافة الراشدة* » ، الطبعة الثالثة ، دار الرشاد للطباعة والنشر التوزيع ، بيروت (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) .

خليل ، عماد الدين ، « *تحليل التاريخ الإسلامي ، إطار عام* » ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، دار الثقافة (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

عابدين ، عبد المجيد ، « *بين الحبشة والعرب* » ، القاهرة ، دار الفكر العربي (دون تاريخ) .

علي ، جواد ، « *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* » ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، بغداد ، مكتبة النهضة (١٩٦٩م) .

السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، (ت ٩١١هـ) ، « *وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى* » ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، جزءان في مجلد واحد ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي

(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، (ت ٥٨١هـ) ، «*الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام*» ، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرءوف سعد ، الجزء الأول ، شركة الطباعة الفنية المتحدة (دون مكان نشر أو تاريخ) .

الصالحي ، الإمام محمد بن يوسف ، (ت ٩٤٢هـ) ، «*سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*» ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، إثنا عشر جزءاً ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .

الصعيدي ، عبد المتعال ، «*السياسة الإسلامية في عهد النبوة*» ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الفكر العربي (دون تاريخ) .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت ٣١٠هـ) ، «*جامع البيان عن تأويل آي القرآن*» ، ثلاثون جزءاً ، القاهرة ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) .

ــــــــ ، «*تاريخ الرسل والملوك*» ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، عشرة أجزاء ، القاهرة ، دار المعارف بمصر (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) .

الفيصل ، شكري ، «*حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري : دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية*» ، مطابع دار العربي بمصر (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) .

قاسم ، عون الشريف ، «*نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم*» ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني (١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م) .

القسطلاني ، أحمد بن محمد ، (ت ٩٢٣هـ) ، «*المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*» ، تحقيق صالح أحمد الشامي ، الطبعة الأولى ، أربعة أجزاء ، بيروت ، المكتب الإسلامي (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، (ت ٣٤٦هـ) ، «*مروج الذهب ومعادن الجوهر*» ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، أربعة أجزاء ، صيدا/ بيروت ، المكتبة المصرية (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

المصري ، جميل عبد الله ، «*اثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري*» ، الطبعة الأولى ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) .

الواقدي ، محمد بن عمر ، (ت ٢٠٧هـ) ، «*كتاب المغازي*» ، تحقيق مارسدن جونز ، اكسفورد (١٩٦٦م) .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ، (ت ٦٢٦هـ) ، «*معجم البلدان*» ، خمسة أجزاء ، بيروت ، دار صادر (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

(٢) المراجع الأجنبية :

Lewis, B. and **Others** (Ed.) *Encyclopaedia of Islam:* Article *"Habashat"*, New Ed., Leiden/London, E.J. Brill and Luzac and Co. (1971), Vol. III, pp. 9-10.

Glubb, Sir John Bagot, *"The Great Arab Conquests"*, London, Hodder and Stoughton (1963).

Hitti, P.K., *"Syria: A Short History"*, London, Macmillan and Co. Ltd. (1959).

Watt, W.M., *"Mohammad at Medina"*, 2nd ed., Oxford, Clarendon Press (1966).

The Texts of Ibn Hisham's Sirah on the Attitude of the Christians Towards the Prophethood of Prophet Muhammad (P.B.U.H.), and his Call

SALAH ELTIGANI HUMODI
History Dept., Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University Jeddah – Saudi Arabia

ABSTRACT. This paper aims at casting light upon two important phases in the history of the life of Prophet Muhammad (P.B.U.H.); the first of them is the period prior to his call, and the second is the period that followed the beginning of his message, the reason for this being an attempt to make clear the great difference in the attitude of the Christians towards the Prophet and his call.

If we take the first period into consideration, we find that the "Sirah" of Ibn Hisham (and also many other Islamic Sources) are full of stories of christian monks who spoke of a prophet of whose appearance Jesus Christ had prophesied, and that this would happen soon. Therefore, many monks, who had the chance to meet Prophet Muhammad (P.B.U.H.) in his childhood, his boyhood, or in his manhood, saw in him the signs of prophethood mentioned in their Holy Books about the expected prophet. That means that they had no doubt about that matter and they were ready to believe in this prophet and follow him. However, when this happened and it became clear that Allah had chosen Prophet Mohammad (P.B.U.H.) for the Message, all the Christians, except a few, denied his prophethood and refused to beleive in him. It was quite clear that this attitude was initiated mainly by sheer envy, because the Message came to an Arab. This hostile attitude is revealed by the Holy Qur'an in many surahs and verses. The attitude of the Christians was, nevertheless, more moderate than that of the Jews, in spite of the fact that this moderateness is sometimes exaggerated in the stories told about some christian rulers in the Islamic Sources.